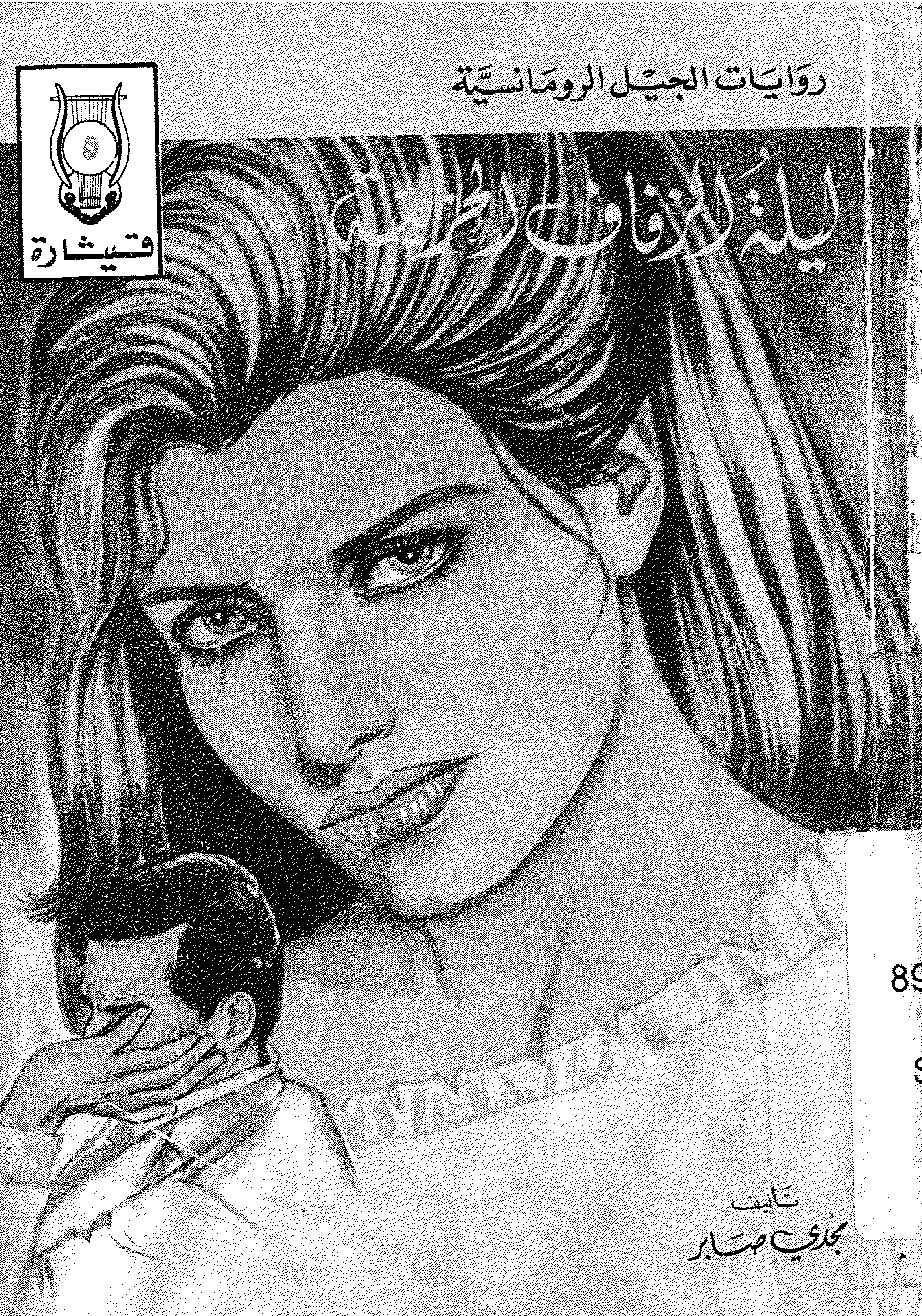
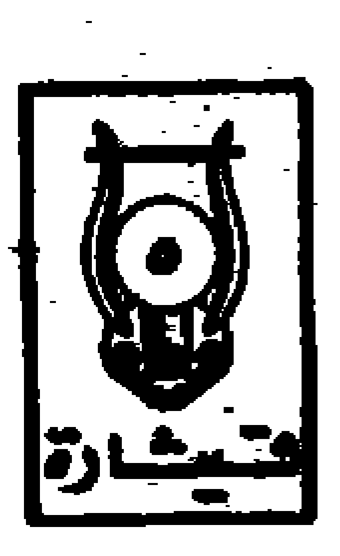


روايات الجيل الرومانسية
قيثارة
٥
ليلة الزفاف الحزينة
تأليف
مجدي صابر





5

ليلة الزفاف الحزينة

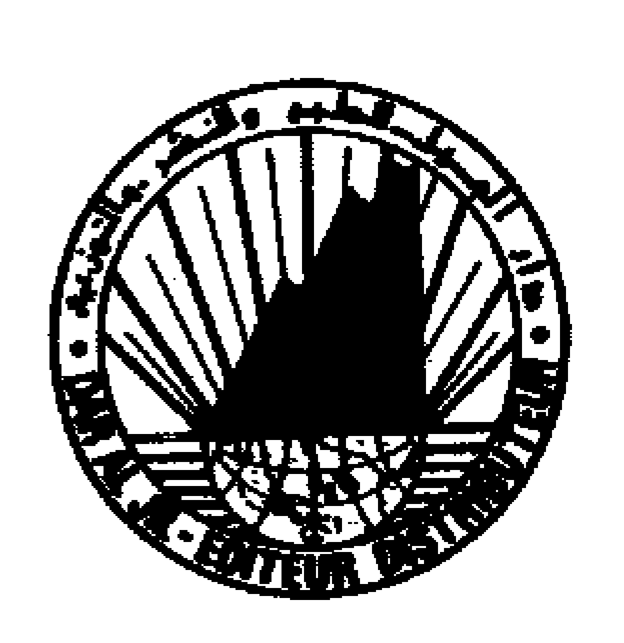
تأليف

مجدي صابر

دار الجيل

بيروت

الطبعة الأولى
١٩٩٢



دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

« ليلة الزفاف »

الفيلا الواسعة متألقة بالأضواء الساطعة .. وعناقيد من اللمبات الملونة تحيط بأسوار حديقتها الخارجية فتبدو كما لو كانت نهراً من الضوء الملون.

اصطفت السيارات الفاخرة بجوار سور الحديقة .. على حين ارتصت الموائد بداخلها حول أصناف عديدة من الطعام والحلوى الفاخرة. وقد تناثر المدعوون فوق الموائد يتحدثون ويتضاحكون في انتظار وصول العريس ليبدأ حفل الزفاف. وقد راح أعضاء الفرقة الموسيقية بمطربها الشهير، يجربون آلاتهم ويختبرون الميكرفونات. وفي قلب الفيلا كانت أيدي الكوافير الماهر تضع لمساتها الأخيرة فوق رأس العروس .. التي ضفرت شعرها الذهبي في جدائل رقيقة ضُمّت أطرافها وشُبك فيها تاج صغير في مقدمة الرأس، حيث

حبات الماس الذي تعكس آلاف الأضواء المتكسرة عليها. وعينا العروس الزرقاوان كسماء ربيعية تعكسان آلاف الأضواء والأحلام أيضا.

وبدت العروس في جلستها وهي تتطلع إلى المرآة العريضة أمامها كملاك رقيق .. بوجه يفيض رقة وعذوبة تناثرت بعض نقاط النمش البنية اللون فوق البشرة الوردية فزادتها بهاء. والأنف الصغير الدقيق فوق فم مثل حبة كرز مشقوقة طافحة بالعصير الشهي، ترسمان ابتسامة سعيدة متألقة .. ابتسامة ظفر وانتصار.

وأقبل « نعيم بك » والد العروس بعد لحظة متسائلاً : ألم تنته من زينتك بعد يا ابنتي ؟

زادت الابتسامة الواسعة فوق شفتي « نيفين » وهي تجيب : سأنتهي حالاً يا أبي. وفي صوت عذب تساءلت : ألم يأت ماجد بعد ؟

أجابها الأب : لا بد أنه في الطريق .. لقد اتصلت به في منزله ولكن لا أحد هناك ليرد على التليفون.

أغمضت نيفين عينيها وقد ضمّتهما على أحلامها السّعيدة .. بعد لحظات سيأتي ماجد في بذلته السوداء الأنيقة التي

اختارتها له بنفسها ليبدو أكثر الموجودين أناقة .. ثم تتأبط ذراعه وتهبط به إلى الحاضرين والمدعوين .. ليشهد الجميع عقد القران .. وبعدها سيذهبان إلى فندق فاخر لإكمال السهرة .. وفي الصباح يسافران إلى باريس لقضاء شهر العسل.

عادت تفتح عينيها .. لم تكن بحاجة إلى الحلم .. كان كل ما حولها واقعاً حقيقياً .. وابتسمت وهي تتأمل ملامحها في المرآة العريضة أمامها .. كانت رائعة الجمال .. فاتنة ..

في عينيها سحر غامض كما قال لها ماجد .. « ووجهها الملائكي يبدو كما لو أن صاحبته أخطأت الطريق إلى الأرض .. كأن مكانها هناك وسط السحاب .. ملكة أو أميرة ». كانت تلك كلمات ماجد .. كان دائما يجيد التعبير عما يشعر به تجاهها. وكانت تحب أن تسمعه يصفها بأجمل الكلمات فتشعر بنشوة وسعادة لا حد لهما.

وشردت عيناها .. تعرف أنه يحبها إلى درجة العشق .. يتدلل في حبها .. وكما قال لها ذات مرة، لقد نقشت حروف اسمك الخمسة داخل جدران قلبي .. وصارت

نبضات هذا القلب هي همسات قلبي بحروف اسمك الخمسة ».

لم يكن حبه لها بحاجة إلى تأكيد .. كانت تثق من ذلك ثقتها في إرادتها القوية .. وبأن أحداً لا يمكن أن يُملي عليها إرادته أبداً.

كانت كملكة متوجة، إرادتها دستور لا يُرد .. هي الابنة الوحيدة لأبيها الذي وهب حياته وماله لأجلها .. لأجلها هي فقط .. ابنته الوحيدة الحبيبة.

لم يكن حب ماجد لها بحاجة إلى تأكيد .. ولولا حبه لها ما عاد يتقدم إليها طالباً يدها مرة أخرى، بعد أن رفضته من قبل.

رفضته بطريقة ساخرة أمتعتها كثيراً .. كما رفضت العشرات غيره بنفس الطريقة ممن أشعل جمالها لهيب الحب في قلوبهم .. ولم يختلج قلبها لحظة واحدة بمشاعر حزن أو شفقة على هؤلاء المحبين أو ما سببته لهم من أحزان وآلام.

كأنهم رعايا في مملكة جمالها .. ليس عليهم إلا قبول أحكامها دون اعتراض .. وكم كانت أحكامها قاسية.

هي نفسها كانت تتساءل تلك اللحظة .. لماذا وافقت على ماجد عندما جاء للمرة الثانية طالباً يدها .. رغم أنه هو نفس الشخص الذي سبق ورفضته ؟

كان قد مرت ثلاثة أعوام منذ رفضته المرة الأولى .. رفضته ونسيت أمره تماماً. كان كعشرات غيره صادفوها في حياتها. لم يعلق في ذاكرتها أحدهم. وحتى ماجد كان كغيره .. لا يميزه حتى كونه كان زميلاً لها بالمدرسة الابتدائية المشتركة بمدينة « قليوب » الصغيرة على مشارف « القاهرة » .. وبعد أن صار والدها من أصحاب الملايين وأشهر تجار الذهب والمجوهرات الكريمة، لم يعد يناسبه البقاء في تلك المدينة الريفية الصغيرة .. فاشترى فيلا في أرقى أحياء « القاهرة » وانتقل إليها مع ابنته الصغيرة بعد وفاة أمها.

ونسيت نيفين أمر ماجد .. إلى أن جاء ذات يوم يطلب يدها .. وكان عقلها لا يحمل له وقتها غير ذكرى باهتة يكاد يطمسها النسيان.

وابتسمت ساخرة وهي تتذكر حقيبة أوراقه التي كان يحملها تحت إبطه وهو يخبرها أنه أصبح صحفياً تحت

التمرين بإحدى الجرائد الحكومية .. وان مستقبلاً لامعاً ينتظره.

تذكر تماماً أنها ابتسمت بسخرية عندما شاهدت حذاءه المُترب وبذلته الوحيدة الرثة .. ورباط عنقه التي لا ينسجم لونها مع لون قميصه .. ووجهه الشاحب وبدنه الهزيل العليل .. كان كل ما فيه يبدو شاحباً لا يثير الانتباه .. عدا عينيه اللتين كانتا تلتمعان بأطياف وآمال عجيبة .. كأنها تحوي آمال العالم كله.

وابتسمت بسخرية أكبر عندما قال لها إنه يحبها .. وإن قلبه اختارها هي دون كل الفتيات اللواتي عرفهن في حياته .. كأنه يمنحها صك امتياز أو شهادة تقدير كانت تنتظرها !

إنها لا تدري ما فعلته وقتها ولا كيف ردت عليه .. لعلها صدته على الفور .. لعلها منحته بعض الأمل .. صدمته.

غير أنها في كل الأحوال لم تتخلَّ عن ابتسامتها الساخرة لذلك الشاب الساذج الذي لا يستند على غير زمالة قديمة في مدرسة ابتدائية، وجاءها خاطباً ببذلة وحيدة كالحة اللون

.. وحقيبته بها بضعة أوراق يتوسم فيها صاحبها مستقبلاً براقاً.

وأخرجته من حياتها .. استمتعت قليلا ببعض إلحاحه .. وبقصائد الحب التي كان يكتبها في وصف جمالها مما أعطاه مهلة قصيرة للاقتراب منها .. قبل أن يذهب كغيره بلا رجعة مطروداً من مملكة جمالها.

ربما لأجل هذه القصائد فقط منحته بعض الأمل .. قبل أن تتعالى ضحكتها الساخرة منه بعدما ملت قصائده البلهاء التي كان يسهر ليالٍ طوال ينظمها في وصف جمالها. تتذكر تماما تلك اللحظة الفاصلة وهي واقفة على شرفة حجرتها تراقبه، وقد جاء كالعادة حاملاً حقيبته .. ولكن عم « فودة » الجنايني رفض أن يفتح له باب حديقة الفيلا .. وأبعده ذليلاً عن المكان وهو يقول له على لسانها بأنها لا تريد رؤيته مرة أخرى، لأن حذاءه يتسبب في اتساخ سجاد الفيلا الثمين .. وإن ساكنة الفيلا الحسناء قد ملت من مشاهدة وجهه الشاحب وبذلته الرثة وقصائده البلهاء.

وفكرت باسمة في سخرية وهي تستعيد الماضي ..

هذا الأحمق كيف كان يمكن أن يتخيل للحظة أن من كانت مثلها .. يمكن أن ترتبط بمن كان مثله ؟

حياتها كلها أضواء مبهرة .. سهرات .. حفلات .. عضوية نادي « الجزيرة » العريق .. أرقى الموديلات .. مجوهرات .. صراخ وصخب وضجيج وعشرات العاشقين الذين يحترقون بلهيب جمالها .. وهي تتمتع بمشهد سقوطهم صرعى حبها كأوراق خريف ذابلة .. لا تتوانى أن تطأهم بقدميها في قسوة عندما تمل من ذلك الحب الذي يصرعهم .. دون أن يمس أوتار مشاعرها.

لم يخفق قلبها بحب إنسان أبداً ..

ولا حتى ماجد ..

كان فارس أحلامها كياناً غامضاً .. هي نفسها لا تدري ملامحه أو صفاته .. لا تدري أي رجل تريد بالضبط .. هل تريده وسيماً .. قوياً .. غنياً .. مشهوراً ؟

لا تعرف على وجه اليقين .. ربما لأن إحساسها بذاتها كان يعمي عينيها ويغلق مسام قلبها عن أن تختار رجلاً معيناً ليكون شريك حياتها .. وربما لأجل ذلك تهامس البعض بأنها مغرورة، وأن مرآتها لا ترى غير ذاتها ..

وربما بسبب ذلك تناقص عدد صديقاتها حتى لم تعد لها صديقة واحدة .. والجميع يتهامسون بها وبغرورها.

ولكن ذلك لم يكن يهمها .. تعرف أن الجميع يحسدونها لجمالها وثروة أبيها .. ولم تكن بحاجة لأن ترد على ما يقولون .. فلتنطق ألسنتهم الحاسدة بما يشاعون !

ولكن .. وعندما تقدم ماجد طالباً يدها مرة أخرى بعد ثلاثة أعوام وجدت نفسها توافق عليه ..

إنها لا تنكر أنها ترددت طويلا قبل أن توافق ..

ترددت لأنه كان نفس الشخص الذي سبق ورفضته ..

لا .. لم يكن نفس الشخص .. كان قد تغير كثيراً .. كثيراً .. هي نفسها كادت ألا تعرفه. وأدهشتها تلك الهيئة الجديدة التي أصبح عليها.

صار وسيما وتورَّد وجهه وزادت صحته وامتلأ بدنه الهزيل كأنما مسته يد ساحرة فأسبغت عليه الصحة والعافية.

وكانت ملابسه أنيقة .. شديدة الأناقة .. وحذاؤه مستورداً من الخارج .. وربطة عنقه من أرقى بيوت الأزياء.

ولم يكن يحمل حقيبة أوراق في يده .. كانت حقيبته الفاخرة في سيارته العريضة ذات الموديل الحديث.

كانت تسبقه شهرته هذه المرة .. ففي خلال هذه الأعوام الثلاث تغيرت أشياء كثيرة في حياته .. صار اسمه يحتل الصفحات الأولى في الجريدة التي يعمل بها .. بتحقيقاته المثيرة وخبطاته الصحفية المدهشة التي جعلت اسمه على كل لسان، ودفعت به إلى قمة الشهرة .. فصار من أعمدة الصحيفة الرئيسية .. وتضاعف مرتبه عدة مرات .. وصار يسافر إلى كل بلاد العالم للقاء المشاهير والنجوم، تساعده إجادته للغتين أجنبيتين. ليس هذا فقط .. بل أن أول قصة كتبها اختطفتها السينما .. وأصر على أن يكتب لها السيناريو والحوار بنفسه.

ونجح الفيلم نجاحاً مذهلاً فتعددت قصصه التي تحولت للسينما .. وهكذا اكتملت دائرة الشهرة حول ماجد .. وصار مؤلفا سينمائياً شهيراً .. وصحفيا لامعاً ..

وأصبح اسم « ماجد صبري » على كل لسان .. وصارت له شقة فاخرة على النيل ورصيد محترم في البنك.

كان قد حقق هذا المستقبل اللامع الذي سخرت منه يوماً ما .. كان هو نفسه ذلك ماثلاً أمامها.

وقال لها إنه جاء يطلب يدها للمرة الثانية .. رغم جراح

المرة الأولى .. وإن تلك الجراح هي التي صنعت نجاحه وشهرته .. فقد أراد أن يثبت لها أنه جدير بها .. وأن ما وعدها به لم يكن أحلاماً أو أوهاماً.

وأيقنت أنه يحبها حباً يفوق كل من أحبوها قبله .. بدليل إصراره على النجاح ليكون مهرها ورسول المحبة بينهما.

بدليل أنه جاء يطلبها للمرة الثانية رغم جراح المرة الأولى التي لم تندمل رغم السنين الماضية.

وكل الذين أحبوها وتدلهوا في غرامها من قبل .. لم يعد أحدهم ثانية بعد جراح المرة الأولى .. سوى ماجد صبري.

كان يحبها بجنون .. لم يكن في ذلك شك .. ولهذا عاد إليها دون أن ييأس.

وربما لأجل هذا وافقت بأن يشاركها عالمها ومملكتها.

وتم كل شيء بسرعة .. الخطوبة .. تجهيزات الزفاف .. حفل الزفاف الذي أوشك على الاكتمال تلك الليلة.

وأفاقت نيفين من شرودها على صوت والدها وهو يتساءل في قلق: ألم تنتهي من زينتك بعد يا ابنتي ؟

كان في صوته هذه المرة رنة قلق شديدة .. وأطرافه ترتجف في عصبية.

تساءلت في دهشة وهي تنهض من مقعدها : أبي .. ماذا بك ؟

أجابها في صوت متوتر : ماجد .. لقد تأخر كثيرا وأنا قلق عليه بشدة .. كان المفروض أن يأتي منذ ساعة .. وقد وصل المأذون وهو ينتظر في الاسفل .. وحتى المدعوون أصابهم القلق .. لقد صارت الساعة العاشرة ولم يأت بعد .. وأخشى .. وبتر الأب عبارته .. كأنه يخشى أن يصرح بما يدور في ذهنه.

ولم تهتز مشاعر نيفين لقلق والدها فقد عاشت بمشاعر باردة طوال عمرها .. وتساءلت في صوت لا يحمل رنة قلق : هل تظن أنه ربما أصيب في حادث منعه من المجيء إلى هنا يا أبي ؟

* * *

« ليلة الزفاف الحزينة »

هتف الوالد وقد انفجر بركان قلقه : نعم .. هذا ما أخشاه .. سوف أضطر للاتصال بكل المستشفيات للاطمئنان.

ورمق ابنته بدهشة قائلاً : إنك تبدين غير قلقة على الإطلاق.

أجابته دون أن تكسو وجهها أي مشاعر : وهل تريدني أن أبكي أم أمزق ملابسي حزناً ؟

رمقها الأب في صمت وكتم مشاعره ..

وغادر الحجرة تاركاً ابنته وحدها دون أن ترتسم على ملامحها أي معالم للجزع.

وتطلعت حولها دون قلق ..

لم يدق قلبها اضطراباً .. لم تخف .. ثلج بارد فوق مشاعرها يجعلها لا تتأثر بشيء.

مطت شفتيها في استهانة .. ماذا سيحدث حتى لو كان ماجد قد أصيب في حادث .. سوف يكون شيئاً مثيراً لم تفكر فيه من قبل .. مفاجأة غير متوقعة تكسر رتابة ما خططت له.

هل تذهب إليه في المستشفى في ملابس الزفاف .. هل يأتي المأذون ليعقد قرانها في غرفة العمليات ؟

وزادت ابتسامتها الساخرة اتساعا وهي تتخيل جرائد الغد التي ستخرج بالنبأ .. وبصورتها مع ماجد في الصفحات الأولى وهو راقد بساق أو ذراع مكسورة .. والمأذون يعقد القران !

وغادرت حجرتها في مشية هادئة متزنة لا يؤثر بها شيء ..

وهبطت إلى أسفل .. من شرفة الصالون لمحت حشود المدعوين وصخبهم في الحديقة، وأغلبهم ينظر الى ساعته قلقا .. وهمسات كثيرة لا شك كانت تتساءل عن سر تأخر العريس. ووالدها يبذل مجهودات محمومة للاطمئنان

على ماجد، والفرقة الموسيقية اضطرت للعزف قبل حضور العريس.

ودقت الساعة الحادية عشرة ..

ولم يأت العريس .. والأب يبذل مجهوداً جباراً لمنع المأذون من الانصراف.

والخجل يمنع المدعوين من الانصراف كذلك .. وإن كان لم يمنعهم من التهامس وطرح مختلف التكهنات لتبرير غياب العريس حتى هذا الوقت.

وأحست نيفين بشيء من القلق رغماً عنها.

لأول مرة تشعر بالقلق في حياتها .. لأول مرة تشعر بالخوف.

هل كان خوفها بسبب خشيتها من إصابة ماجد في حادث ..

كانت تعرف أن ذلك ليس سبب قلقها .. كانت مشاعرها محايدة بالنسبة له. لا تحبه ولا تكرهه .. ولذلك لم يكن قلقها خوفاً عليه بكل تأكيد.

كان قلقها منصباً حول ذاتها .. كانت تشعر وتحس أن تلك الهمسات التي يتبادلها المدعوون تدور حولها ..

وحول العريس الذي لم يأت بعد.

لعل بعضهم كان يسخر من الموقف .. ولعل البعض الآخر خرج بتشنيعة ما.

وغلت الدماء في عروق نيفين .. كأنها تريد أن تهبط إليهم وتصفعهم على وجوههم واحداً وراء الآخر.

كأنهم لا يستحقون شرف حضور حفل زفافها ..

وتمنت في تلك اللحظة أن ترى ماجد .. تمنت رؤيته كما لم تتمناها من قبل أبداً ..

في السابق عندما كان يغيب عنها أسبوعاً كاملاً .. لم تكن تشعر بشيء ينقصها .. ولا رفعت سماعة التليفون مرة واحدة لتطمئن عليه.

لم تكن رؤيته لها لتضيف إلى مشاعرها شيئاً .. فما كانت بحاجة لأحد آخر في حياتها.

ولكنها في تلك اللحظة أرادت أن ترى ماجد بكل كيانها .. لم تتمن شيئاً في العالم قدر ما تمنت أن تراه .. في هذه اللحظة بالذات.

كل ما تمنته من قبل قد تحقق .. أمنياتها كانت أوامر لا ترد أمام والدها. ولكن حتى والدها كان يبدو حائرا

مضطربا يكاد القلق والخوف يقتلانه في تلك اللحظة. لأول مرة تراه عاجزاً أن يحقق لها إحدى أمنياتها.

وغمغمت في غضب وبصوت مسموع : هذا الغبي .. ما الذي أخرّه كل هذا الوقت ؟ وتفّجر غضبها بركاناً .. لأول مرة يتملكها الغضب بتلك الصورة. واشتعل غضبها إلى درجة الجنون وهي ترى إحدى المدعوات تضحك ساخرة وتشير تجاهها.

هل كانت تضحك عليها .. تسخر من الموقف والعريس المتأخر ؟

وتقلصت أصابعها الرقيقة في تشنج .. أحسست أنها تكاد تفقد وعيها .. لم تشعر بتلك الأحاسيس الدامية من قبل أبداً .. وتمنت لو أنها أغمضت عينيها وفتحتها لتجد ذلك الكابوس وقد اختفى من أمامها .. وماجد واقف بجوارها يتأبط ذراعها .. ويخرج بها إلى كل هـؤلاء المدعوين ليخرس ألسنتهم.

وشعرت بنار حارقة في عينيها .. كأن لهيب مشاعرها قد أوقد حريقاً في عينيها فصارتا كرتين من النار.

وأحست بدمعة ساخنة تسقط من عينيها.

وأفاقت ذاهلة. لم تبك في حياتها من قبل أبدا. وحتى يوم ماتت أمها لم تذرف عليها الدموع. حتى ظنت أنها لا تبكي مثل بقية البشر.

فكيف سقطت تلك الدموع في هذه اللحظة ؟

ودق جرس التليفون ..

وارتعدت من الرنين المفاجئ كأنما هبت عليها رياح مثلجة .. وهمست لنفسها : لا بد أنه هو .. ماجد.

واندفعت إلى الهاتف ورفعت السماعة .. وجاءها صوت متساءل من الطرف الآخر : نيفين ؟

كان صوته هو .. صوت ماجد .. لم تشعر يوماً بلهفتها إلى صوته مثل تلك اللحظة .. وهتفت به في صوت يحمل مزيجاً من الغضب والحنق واللهفة والقلق : ماجد .. أين أنت .. لماذا لم تأت حتى الآن ؟

وسادت لحظة صمت كأنها دهور .. وجاء الصوت من الطرف الآخر يقول : إنني لن آتي.

ذاهلة رددت بلا وعي : لن تأتي .. لماذا .. هل أنت مريض أو مصاب ؟

وجاء صوته مطمئنا يقول :

ـــ لا .. لست مريضاً أو مصاباً .. انني في أحسن حال.

جمدت في مكانها لحظة كالمشلولة. توقف قلبها عن النبض. اتسعت عيناها ذهولا. كانت تخشى من خاطر طاف بذهنها كفكرة جنونية.

همست بصوت مرتعش تسأله : ماجد .. ماذا حدث .. إنني لا أفهم شيئاً.

وجاءها صوته ساخراً من الطرف الآخر : ما حدث هو أنني أردت أن ألقنك درساً غالياً أيتها المغرورة .. ولا أظن أن هناك درساً أكثر قسوة من عريس لا يذهب إلى عروسه ليلة زواجهما .. لقد سبق وأن أهنتيني مرة بجرح قتلني وقتها وظل ينزف حتى اليوم .. وانتظرت وقتاً طويلاً لأرد لك هذا الجرح .. والآن ها نحن قد تعادلنا وتوقفت جراحه عن النزيف .. ويؤسفني أن أقول لك أنه لا يشرفني أن أرتبط بإنسانة مثلك لا مشاعر لها .. ومغرورة إلى درجة الموت ومشاعرها باردة إلى درجة التجمد، درجة الموت .. فوداعاً أيتها المغرورة التي لا تعشق غير نفسها .. وأملي أن تكون الفضيحة مدوية حتى تشعري ببعض الألم الذي جرحني يوماً ما.

وسمعت تكة السماعة من الطرف الآخر وهو يقفل الخط.

ووقفت نيفين كالمشلولة والسماعة معلقة بيدها وقد تحجرت عيناها .. وأذناها لا تصدقان ما سمعته .. وقلبها تعتصره قبضة هائلة تدميها .. ومشاعرها ممزقة مطعونة بجرح قاتل لا شفاء منه.

وهرع إليها والدها ذاهلاً وقال في صوت مرتعش: نيفين .. ماذا حدث هل اتصل بك أحد ليخبرك بشيء عن ماجد؟

وصرخت نيفين في جنون ..

صرخت وصرخت مثل حيوان متوحش قد لحقته إصابة قاتلة .. وراحت تحطم كل ما تصادفه في طريقها بجنون وحشي.

* * *

« المؤامرة »

أعاد ماجد السماعة وقد ارتسمت فوق شفتيه ابتسامة انتقام ساخرة واسعة إلى أقصى حد. وانطلقت ضحكة عالية من « إيناس حمدي » .. النجمة السينمائية الأولى وفاتنة الشاشة الكبيرة .. وقد تناثر شعرها الأسود اللامع بلون الليل فوق وجهها المضيء كالبدر .. وعيناها الخضروان ترسلان لهباً كأنهما نجمتان لامعتان تفيضان سحراً وشاعرية.

قال ماجد بصوت غامض: لقد تم الأمر كما خططنا له تماماً.

قالت إيناس باسمة وقد توقفت عن الضحك : تقصد كما خططته لك تماماً .. فكما أخبرتك يا عزيزي فلا يهزم المرأة ويكسر غرورها .. إلا امرأة مثلها.

أشعل ماجد سيجارة في صمت راح ينفث دخانها شاردا،

كأنه يعيد تقديره للأمر من جديد. كان نادراً ما يدخن، وراقبته إيناس وقد أدركت أنه يعاني من توتر عميق يفضح قلقه وشروده.

وتحدث المنتج السينمائي «رشاد بدر» قائلاً في استياء: لم يكن هناك أي داع لكل هذه التمثيلية الطويلة التي عطلتك عن إكمال كتابة الفيلم الأخير .. كان يكفي أن تواجه تلك الفتاة وتخبرها برأيك فيها ثم تنسحب في هدوء بدون افتعال هذه التمثيلية التي استغرقت منك شهوراً.

شحب وجه ماجد وهتف في غضب: كان يجب أن ألقن هذه المغرورة درساً لا تنساه .. فقد جرحت كرامتي ذات يوم وأهانتني واكتشفت أنها كانت تتسلى بي ولا ترى فيّ غير شاب فقير لا طموح أمامه ولا مستقبل .. ولم تراعي مشاعري أو تحترم حبي لها وطردتني من حياتها بطريقة مهينة .. إنها قاسية بلا قلب ولا مشاعر مثل تمثال من زجاج كان يجب عليّ أن أهشمه واحوّله الى شظايا.

ـــ رشاد: ولهذا كافحت وشققت الصخر ثلاث سنوات .. لتثبت لها أنك لم تكن شيئاً تافهاً وأنها خسرتك برفضها لك.

قالت إيناس في امتعاض : إن ماجد لم يفعل ذلك من أجلها .. لقد نجح لأنه موهوب ويستحق النجاح، وسواء كانت علاقته بتلك الفتاة قد انتهت على هذه الصورة أو غيرها لكان قد صار شهيراً كما هو الآن .. فهذا هو ما يستحقه.

وبنظرة أودعتها كل فتنتها وإغراءها تساءلت : أليس كذلك يا ماجد ؟

لم ينطق ماجد بشيء .. وقال رشاد وهو يسحق طرف سيجارته في المنفضة أمامه : ولكن ما زلت عند رأيي بأن ما حدث يُعتبر عملاً غير أخلاقي ما كان يجب أن يتم.

انفجر ماجد قائلاً : أي أخلاقيات هذه التي تتحدث عنها ؟ وهل كان من الأخلاق أن تطأني تلك الفتاة بقدميها كما لو كنت نفاية حقيرة، وتقتل مشاعري في استهانة وسخرية وقد راحت تتسلى بي وبأشعاري وهي ترتب لتحطيمي وذبح كرامتي. وأنا الذي كنت أضعها مكان قلبي ولا أرى الدنيا بدونها. فهل ما فعلته هي من الأخلاق في شيء ؟

ثم وجَّه نظرة ساخرة إلى رشاد قائلاً : كنت أظن أن

أحدا غيرك سيتحدث عن الأخلاق .. خاصة من شخص ترك زوجته وأم أولاده من أجل ممثلة تافهة مغرورة في عمر أولاده.

هب رشاد في غضب قائلاً : ماذا تقصد بحديثك .. هل تسبني ؟

هتفت إيناس وهي تقف بينهما : توقفا عن الشجار .. يبدو أن السهرة ستصبح مشاجرة. من الأفضل لنا الانصراف.

رشاد : هذا أفضل .. فقد سئمت ما أراه.

واتجه نحو الباب .. وهمست إيناس لماجد : اتمنى لك أحلاما سعيدة لا ترى فيها غيري .. وسأنتظر منك اتصالاً هاتفياً قبل أن أنام.

وبصوت مليء بالدلال أضافت : أنت تعرف أنني لا أستطيع النوم إذا لم أسمع صوتك.

وغادرت المكان وهي تودعه بنظرة طويلة أودعتها كل ما تعلمته من فنون الإغراء.

أغلق ماجد الباب .. وارتمى فوق أقرب مقعد وعيناه تشتعلان بألم شديد.

كان ما حدث من تخطيط إيناس .. التي أرادت له

الانتقام من نيفين، لما فعلته به بعد أن عرفت بقصته معها.

ولولا إيناس لما عاد إلى نيفين طالباً يدها .. من أجل لحظة الانتقام.

لم تكن أخلاقه تسعد بالانتقام .. ولا رضعه من ثدي أمه وهو طفل.

والده خطيب جامع القرية وشيخ حكمائها علمه التسامح والمودة .. ولم يعلمه الكراهية والانتقام .. ولكنه كان كالأعمى منقاداً لإيناس وهي تخطط له ذلك التدبير الذي انتهى تلك الليلة .. بعدم ذهابه إلى حفل الزفاف.

وتساءل في سخرية ترى ما مشاعر نيفين تلك اللحظة .. بعد أن حطم كبرياءها وغرورها وصوّب إليها طعنة قاتلة في صميم مشاعرها. هل ستظل كما كانت .. ذلك التمثال الزجاجي البراق بلا أي مشاعر أو حياة .. أم أن شيئاً ما سوف يتبدل في طبيعة ذلك التمثال وتدب فيه حياة من نوع ما؟

وتساءل في حيرة وألم ربما للمرة الألف .. ترى ما الذي غيّر نيفين بتلك الطريقة وصنع منها ذلك التمثال الزجاجي الخالي من المشاعر الإنسانية؟

وعادت ذاكرته الى الوراء .. عشرين عاماً إلى الوراء ..

يوم كانا جارين وزميلين في المدرسة الابتدائية .. كان يكبرها بعامين .. هو في الصف الرابع وهي في الصف الثاني الابتدائي ..

كان يصطحبها كل صباح إلى المدرسة ويعود بها باعتباره جارها وفي مكانة أخيها الأكبر. وقتها كان يعتبر نفسه المسئول عنها، المحامي لها. كان أخاً لها وحارساً. كان سحابة رقيقة تظلل حياتها. وكانت نيفين وقتها صغيرة رقيقة كنسمة ربيعية .. وظلت في عينيه بتلك الصورة إلى أن صدمته الحقيقة يوم طرده بواب منزلها، ليخبره بأن ساكنة الفيلا ملت رؤية وجهه والاستماع إلى قصائده البلهاء .. كأنه مهرج كانت تتسلى بألعابه قليلاً قبل أن تغلق أبوابها في وجهه وتطرده من حياتها بلا رجعة.

وتساءل .. ترى متى أحبها .. هل حدث ذلك وهما طفلان .. وهل يشعر القلب بتلك الأحاسيس المتقدة للحب في هذه السن المبكرة، وقد كان القلب كنبتة خضراء لا تزال تتحسس مشاعرها وطريقها إلى الحياة ؟

هل أحبها يوم غابت عن عينيه بعد أن رحلت مع والدها

عن بلدتهما .. فأشعل الغياب نار الحب في قلبه ؟

لا يدري متى أحبها بالضبط .. كل ما يعرفه أنه أحبها حباً جارفاً لا مثيل له .. حبا ملك عليه كل كيانه وكل ذرة من روحه.

ربما لأجلها صار يكتب الشعر .. لا يناجي فيه محبوبة غيرها ..

ربما لأجلها صار يكتب القصة .. ولا بطلة أو محبوبة فيها سواها.

ولأجلها كان تفوقه في المدرسة .. ودخوله كلية الصحافة .. وذهابه إلى « القاهرة » ..

لأجلها كانت أشياء كثيرة جميلة في حياته وقصة كفاح مريرة .. كان يتمنى لو كان ختامها ارتباطهما إلى الأبد.

ولم يكن يظن أن الفوارق المادية وفوارق أخرى كثيرة غير مرئية يمكن أن تصنع حاجزاً بينهما.

كان يظن أن حبه لها قادراً على اقتحام كل تلك الحواجز .. وأن الحب قوة قاهرة لا تقدر قوة أخرى على هزيمته ..

عاش عمره كله على أمل أن يرتبط بهذه الإنسانة التي أحبها ونمت مشاعره بذكرى حبها .. وصفحة قلبه لا

يزال نبتة خضراء لم تهب عليها غير رياح حبها .. ولم يسقها غير ينبوع ذكراها.

وهكذا عندما ظن أنه وضع أقدامه فوق بداية طريقه العملي وأنِ مستقبله أصبح محدداً وواضحاً ومبشراً، ذهب إليها طالبا يدها.

وأدهشه في البداية أنها لا تكاد تذكره حتى أنه اضطر لتذكيرها بإسمه.

ثم أدهشته مشاعرها التي صارت في برودة الثلج .. وأدهشه أكثر أنها تغيرت كثيرا عما كان قد عرفها وأحبها .. وتساءل هل صنع المال كل هذه التغيرات أم أن هناك أسباباً أخرى ؟

وكيف تتحول الشمس المشرقة العامرة بالحرارة والدفء . إلى كوكب معتم بارد يغلفه الموت والغموض ؟

ولكنه تغلب على دهشته وأراها أشعاره وقصصه .. وأكد لها أن بطلاته ليسوا أحداً غيرها.

وخيّل إليه أن ذلك أرضاها .. أرضى غرورها .. مما سمح له بالبقاء في دائرة وجودها وقتا أطول .. لم يفهم الحقيقة إلا فيما بعد.

ولم تعلنه بقبول أو رفض . فقط كانت تجلس أمامه تنصت إلى أشعاره وهو يتلوها أمامها .. تتسع عيناها بذلك اللهب الحارق .. لهب شعلة تحوم حولها فراشة مسكينة لا تلبث أن تحترق بنارها بعد حين .. وهي غير دارية بالمصير الذي ينتظرها .. وقد أعمتها لحظة النشوة والضياء التي تعيشها.

وقد احترق بنار كادت تقضي عليه وهو يخرج من حياتها ذليلاً مهاناً معايراً بفقره وقلة حيلته، وأشياء أخرى لم يكن له يد فيها.

وتألم بنارها طويلاً .. ثم قرر أن يُشعرها بخطأها .. أن يثبت لها أنه لم يكن جواداً خاسراً وأن ما كان يمنيها به من مستقبل باهر، لم يكن مجرد أحلام يقظة يتوهمها .. ولا مخدراً كان ينسى به صعوبات وآلام حياة جافة مقفرة.

وصار يعمل ليل نهار . لا يكاد ينام الليل .. لا يتسع وقته للطعام .. وراح يدرس الفرنسية بجوار الإنجليزية التي يجيدها .. مما فتح له آفاقاً جديدة في عمله.

وتوالى نجاحه .. ولمع اسمه .. وجاء المال إليه بلا حساب.

ثم مارس هوايته الأخرى في كتابة القصة .. واقتحم عالم السينما .. وأصابته نفس الشهرة في ذلك المجال، وجاءت إليه الشهرة بكل ما كان يتمناه .. المال والمستقبل .. « وإيناس حمدي » النجمة الشهيرة التي لم يكن يحلم ان يتحدث إليها .. كان ذلك أبعد من أحلامه، ولكنه وجدها بطلة لكل أفلامه التي كتبها.

وبدأت تقترب منه .. تتعلق به .. لا تكون إلا معه .. لا تسمح لأخرى أن تعيش في ظله أو تكون في مدى أنفاسه.

وتعلّق بها .. بهره جمالها وشهرتها وأناقتها ونجوميتها .. برغم أنها كانت تكبره بخمس سنوات على الأقل.

ووقتها كاد أن ينسى نيفين .. ونسي أن كل نجاحه كان بدافع التحدي لها. كان نسيانه متعمداً، فقد كانت كرامته لا تزال تشعر بجراح لم يخفف آلامها كل النجاح الذي أصابه.

كانت نيفين لا تزال نجاحاً .. لم يصل إليه بعد.

وأوقدت فيه إيناس جذوة الكراهية لنيفين .. وعلّمت قلبه كيف يشعر بالبغض ويفكر بالانتقام .. وهو الذي عاش عمره كله في تسامح.

وخططت له .. وكان عليه التنفيذ .. وأن يتقدم طالباً يد نيفين مرة أخرى .. تسبقه شهرته وماله ونجاحه هذه المرة.

وشعر بنشوة النجاح عندما وافقت نيفين على الارتباط به .. ووقتها لم يلمح في عينيها أي تغيير .. كانت كما كانت لم يتبدل فيها شيء .. وتأكد أنها اختارته ليس عن حب .. بل لأنه صار شهيراً ثرياً ينتظره مستقبل رائع .. لم تحبه أبداً .. كان يدرك ذلك تماماً.

وربما لأجل ذلك زادت كراهيته لها .. كراهية عمياء لا تبصر وقد انقلب حبه لها إلى بغض ونفور . وبرغم ذلك كاد ينسحب من تلك المؤامرة أكثر من مرة.

ولكنه واصل الشوط حتى نهايته. والليلة قد سدد إليها بقية فاتورة حسابهما القديم.

الليلة تخلص من إحساسه بجرح كرامته وبكونه كيان تافه ضئيل.

الليلة تخلص من حبه نيفين إلى الأبد .. وسدد طعنة إلى غرورها القاتل.

الليلة يمكنه أن يقول أنه قد حقق كل أحلامه .. وأن نيفين لم تعد نقطة الفشل الوحيدة في حياته.

وجلجلت ضحكته عالية .. ساخرة .. تحمل قدراً لا مثيل له من التشفي.

ضحكة برغم كل ما فيها من إحساس بالراحة .. إلا إنها كانت تحمل جذوة ألم ومرارة تنبع من القلب.

ألم ومرارة لم يكن يدري سببهما .. بعد أن سدد انتقامه بالكامل

* * *

« كراهية عميقة »

صرخ والد نيفين بجنون : هذا الوغد المجرم .. سوف أذهب إليه لأُفرغ في صدره طلقات مسدسي.

واندفع كالمجنون نحو الباب، فهرع خلفه عدد من الأقارب والأصدقاء يمسكون به وهو يحاول التملص منهم. وقال أحدهم له : لن يفيد ذلك في شيء .. أصابتنا الفضيحة بما حدث .. وإذا قتلت هذا المخادع فسيكون مصيرك الشنق أو السجن .. ولعله قد احتاط لذلك لمن يحاول إيذائه.

عاد الأب يصيح بصوت وحشي : هذا المجرم .. أُقسم أن أعاقبه عقاباً مريراً .. يجب أن أدّمره وأمحوه من الوجود.

اندفع إليه الأخ الأكبر، وكان قصيراً ماكراً شديد الأناقة بطريقة مبالغ فيها برغم سنواته السبعين، وقال : هذا ما

يجب أن يحدث بالفعل .. إن هذا الوقح يجب أن يُعاقب على ما فعله .. يجب أن يدفع الثمن غالياً ليعرف أي خطأ ارتكب .. ولا أظن أن هناك ما هو أغلى لديه من مستقبله ليكون هو الثمن الذي يخسره.

تساءل نعيم في صوت حاقد : ولكن كيف ؟

قال الأخ الأكبر في لهجة قيادية : دع ذلك الأمر لي أخططه في هدوء .. من الضروري أن يكون التخطيط جيداً ليؤدي الغرض منه .. ومن الضروري أيضا الانتظار بعض الوقت، فلا شك أن هذا الوقح سيكون في منتهى الحذر منا .. ومع الوقت سيقل حذره وستكون هذه فرصتنا لأن نفعل به ما نشاء.

صاح نعيم في عنف : لن أنتظر .. وسأرسل إلى هذا الوغد من يطلق الرصاص على قلبه.

قال الأخ الأكبر معترضا : ستكون حياتك هي الثمن أيضاً .. فالجميع باتوا يعرفون ما صار بينكما من كراهية بعد تلك الفضيحة، ولن تستطيع الهرب بفعلتك وستكتشف الشرطة أنك المحرض للجريمة .. ومن الأفضل أن تستمع لي وتهدئ أعصابك وتدعني أتصرف في هدوء .. والآن

أذهب إلى ابنتك لتهدئتها فلا شك أنها تعاني من ثورة عارمة وقد تؤذي نفسها.

نكس الأب رأسه، وحملته قدمان مهزومتان إلى أعلى، ودموعه تغلبه وهو يجاهد لكبتها .. فلم يكن يحتمل خدش ألم يصيب ابنته الوحيدة الحبيبة .. فكيف بها الحال وقد زلزلتها كارثة فضيحة مدوية تناقلتها الألسن .. وفي الغد تتناقلها الصحف والمجلات .. ويسمع بها من لم ير أو يسمع.

طرق باب حجرة ابنته فلم يسمع صوتاً .. لا نهنهة بكاء أو عويل حزين .. عاود طرق الباب فجاوبه الصمت القاتل.

فتح الباب فصدمه منظر فستان الزفاف الممزق إلى ألف قطعة وقد تناثر في أرجاء الحجرة كأنه روح ممزقة مبعثرة. ونيفين جالسة فوق طرف فراشها بملابس نومها وعيناها مفتوحتان عن آخرهما تحدق في فراغ الحجرة .. ويداها المستقرتان في حجرها تحملان آثار خدوش وجراح ثورتها .. ووجهها الجميل قد اختلطت فيه آثار مساحيق التجميل

التي ذابت في الدموع الساخنة .. فبدا الوجه مشوشاً غريباً بألوان عجيبة.

اقترب الأب من ابنته في حنان مهزوم قائلاً : هل أنت بخير يا ابنتي ؟

فجاء صوتها كأنه خارج من بئر قائلاً : دعني وحدي.

قال يطمئنها : سوف أنتقم لك من هذا المجرم .. أقسم أن أحطمه وأحوله إلى شظايا وأدمر مستقبله وأرسله إلى السجن.

عاد صوتها الميت يقول : قلت لك دعني وحدي.

تحرك الأب مغادراً الحجرة وأغلق بابها خلفه بوجه منكس.

وأحست نيفين أنها كيان ضئيل في فراغ الحجرة الواسع .. من قبل كانت تشعر أن الدنيا كلها لا تكاد تسعها .. لا تسع أحلامها وإحساسها بذاتها .. الآن تشعر أنها كيان صغير وتافه إلى درجة العدم.

لأول مرة تشعر بمرارة الهزيمة.

لأول مرة تحس بأن شيئاً أرادته في لحظة خاصّة .. قد رفض ارادتها واستعصى عليها ولم يطاوع رغبتها.

وصوت ماجد القادم عبر التليفون يقول لها : لا يشرفني أن أرتبط بانسانة مثلك .. وأملي أن تكون الفضيحة مدوية.

كانت تشعر بنار موقدة في جراحها المشتعلة .. نار تكاد تحرقها .. نار لم تكتوِ بها من قبل أبداً.

وتمنت لو أن القدر أتاح لها أن تواجه ماجد وجها لوجه تلك اللحظة .. لانطلقت أظافرها تخنقه وتمزقه في وحشية حيوان جريح.

واندلعت في قلبها كراهية لا مثيل لها .. كراهية أنثى مهزومة جريحة ..

الحب يقوّي المرأة عشرات المرات .. والكراهية تمنحها أطنان من القوة لا سبيل إلى مواجهتها. غداً تنتظرها الفضيحة والشماتة والسخرية على كل الألسن .. ولن يفيدها جمالها وثروة والدها في قطع الألسن والإشاعات.

ونكست رأسها في مرارة ودموعها تسيل ساخنة فوّارة بلون الدماء ..

استطاع ماجد أن ينتقم منها بطريقة لم تخطر ببالها أبداً ولكنها ستنتقم أيضاً .. وانتقام المرأة ليس كانتقام الرجل. !!

« فيلم .. وحب »

دق جرس الباب بالحاح .. وأقبل الخادم يفتح الباب. كانت إيناس واقفة في غضب واندفعت إلى الداخل صائحة : أين ماجد ؟ أربعة أيام كاملة لا يرد على التليفون غير جهاز الرد الآلي .. أين هو أخبرني ؟

رمقها الخادم بعينين يطل منهما نظرة لص قديم وقال إنه في حجرة مكتبه منذ أربعة أيام .. وقد أمرني ألاّ أزعجه بأي شكل من الأشكال وألاّ أرفع سماعة التليفون.

تساءلت بدهشة : في حجرة مكتبه منذ أربعة أيام . ماذا يفعل بها ؟

واندفعت كعاصفة نحو حجرة المكتب تفتحها دون استئذان.

لم يشعر بها ماجد .. كان منكباً فوق بضع أوراق

أمامه يكتب في عنف محموم كأنه يسابق الزمن .. أو كأن به حمى تدفعه إلى الاحتراق وهو يكتب .. وكأنه يُفرغ مشاعر متضادة ملتهبة فوق الأوراق.

لم يتنبه ماجد لدخول إيناس لفرط انشغاله بالكتابة .. وراقبته إيناس في دهشة .. كان يبدو كأنه لم ينم خلال أيام طويلة .. عيناه غائرتان تحتهما هالات سوداء عميقة وشعره مشوش ولحيته نابتة.

تساءلت في دهشة :

ـــ ماجد .. ماذا تكتب بذلك الحماس ؟

التفت إليها في دهشة .. بدا وكأنها انتزعته من عالم سحري كان يغوص فيه حتى أعماقه وقد ملك عليه كل مشاعره.

راقبها لحظة مستاءً .. ثم أشعل سيجارة التقط منها نفساً عميقاً قبل أن يجيبها : أنني أكتب قصة جديدة أوشكت على إكمالها.

هتفت بفرح : قصة فيلم جديدة .. هذا رائع .. لا بد أن الدور مكتوب خصيصاً لي ككل مرة . أليس كذلك ؟

هز كتفيه في حيرة قائلاً : لا أدري.

ردّت مندهشة : لا تدري .. إذن لمن تكتب هذه القصة ؟

أجابها في هدوء :

ـــ أكتبها لنفسي.

راقبته إيناس في حيرة .. لأول مرة تراه على تلك الحال .. منذ شهور طويلة لم يعد يكتب إلا قصص أفلامها هي فقط. وقال ماجد كأنه يعتذر لها : أمامي نصف ساعة فقط أنهي فيها هذه القصة . ويجب أن أنهيها حالاً.

تساءلت مقطبة : هل ستسمح لي بقراءتها بعد أن تنهيها ؟

أجابها بوجه خال من المشاعر : بالطبع .. فقد كان لك دور هام فيها.

وأضاف وعيناه تلمعان بنظرة متجهمة : كان لك دور رئيسي بالفعل.

وعاود الكتابة المحمومة في صمت .. وجلست إيناس أمامه تراقبه دون أن تنطق .. وكأنها تحاول اكتشاف ما يدور في عقله.

ومرت الدقائق بطيئة ..

وأخيراً توقف ماجد عن الكتابة .. وشاهدته إيناس يغمض عينيه في ألم كأنه يمنع نفسه من البكاء.

وأفاق بعد لحظة .. وغادر مكتبه دون أن يلتفت إلى إيناس أو يطلب منها قراءة ما كتبه.

واقتربت هي من الأوراق المنثورة فوق المكتب بلا ترتيب .. لملمتها .. كان عنوان القصة الجديدة « ليلة الزفاف الحزينة ».

شدها العنوان وأثارها .. فجلست فوق مقعده وبدأت القراءة. وخلال ساعة كاملة كانت قد أتت عليها.

كانت تقرأ كالمحمومة حتى وصلت إلى كلمة النهاية، رفعت عينيها عن الورق لتجد ماجد واقفاً أمامها وقد حلق لحيته وصفف شعره بعناية وارتدى ملابس أنيقة .. كأنه عاد إلى الحياة مرة أخرى بعد أن أنهى كتابة تلك القصة.

قالت له وهي تجاهد لتكبت انفعالها: إنها قصتك مع نيفين ؟

ــ هذا صحيح.

ــ لم أكن أظن أنك تحبها إلى هذه الدرجة ؟

أجابها في هدوء :

ـــ لا يفيدنا إخفاء الحقائق . كنت أحبها لدرجة العشق بالفعل .. وكان يجب أن يظهر ذلك على الورق ما دمت أريد تسجيل الحقائق بأمانة.

ـــ والآن ؟

ـــ الآن تعرفين ما بيننا .. تعرفين أنها خرجت من حياتي إلى الأبد .. ولم يعد بيننا غير كراهية متبادلة.

رمقته لحظةً في جمود .. عادت تسأله بمشاعر أنثى : ولكن نهاية القصة تختلف عن الواقع.

ـــ هذا صحيح.

ـــ لقد أنهيت القصة بأن « ليلة الزفاف الحزينة » انقلبت إلى ليلة سعيدة .. بعد أن تصافى الحبيبان وعاد كل منهما للآخر.

لمعت ابتسامة ساخرة على وجه ماجد وقال : أهذا ما يضايقك .. هل كنت تريدين إنهاء القصة بتلك الدراما السوداء وأن يبتعد البطلان بعضهما عن الآخر للأبد.

ـــ ولكنها الحقيقة.

أجابها في مرارة :

ـــ ترى هل سيستسيغ القراء تلك النهاية .. ألن يوصموا

صاحبها بالنذالة والخسة لما فعله بخطيئته مهما كانت مبرراته.

هتفت إيناس تدافع عنه :

ــ ولكنها فعلَتْ بك أكثر مما فَعَلْتَ بها.

ــ نحن في الشرق .. وفي الشرق يتسامحون مع المرأة ويغفرون لها خاصة إذا كانت جميلة. فالجمال له دائماً عذره .. أما مع الرجل فلا تسامح أبداً .. خاصة إذا أساء إلى امرأة .. جميلة.

قالت إيناس بغضب : لست أفهم حتى الآن لماذا عدت إلى نيفين وتصافيتما ؟

قال ساخراً : أنت تخلطين ما بيني وبين بطل الرواية .. هذه القصة كتبتها لتصبح فيلماً سينمائياً وأنت تعرفين أن الجمهور لا يتقبل النهايات الحزينة للأفلام .. ومن ثم كان عليّ أن أبحث عن نهاية سعيدة ولو كانت تخالف الحقيقة.

أشرق وجه إيناس في ارتياح .. وهمست كأنها تشكره : الآن قد فهمت.

وتألقت عيناها وهي تضيف : لن يقوم ببطولة هذه الرواية

أحد غيري .. إنه دور رائع لن أسمح لأي بطلة غيري أن تقوم به.

تأملها ماجد لحظة كأنه يقرأ ما بداخلها، ثم قال في تسليم : أعتقد أنك ستؤدين ذلك الدور بطريقة مقنعة تماماً .. فإن بينك وبين البطلة الحقيقية للقصة تشابه عجيب في الملامح.

تساءلت إيناس بعد لحظة : مَنْ تظن يصلح للقيام ببطولة هذا الفيلم أمامي ؟

هزَّ ماجد كتفيه قائلاً : ليس لي حق الاختيار .. إنه حق المنتج والمخرج.

قالت مصمّمةً : لن يختار البطل أحد آخر سواي.

فاجابها بتسليم : أنت نجمة ومن حقك اختيار من يشاركك أفلامك.

قالت إيناس وهي تتأمله : وأنا قد اخترت البطل بالفعل.

ــ ومَنْ هو ؟

ــ أنت !

حملق فيها ماجد بدهشة عظيمة .. وعادت إيناس تؤكد له : أنت البطل .. لقد كنت البطل في الواقع فلماذا لا

تكون كذلك على الشاشة ؟

قال ساخراً : أنا مؤلف ولست ممثلاً.

ــ ولكنك تملك وجهاً سينمائياً .. كيف غاب عني ترشيحك لبطولة أحد أفلامي السابقة ؟

بسخرية أشد قال : أعرف أن هناك مؤلفين يتحولون للإخراج ومخرجين يمثلون .. ولكني لم أسمع من قبل عن مؤلفين يتحولون إلى نجوم سينما.

قالت إيناس مؤكدةً : هذا الدور بالذات لن يمكن لأحد تجسيده مثلك لأنك عانيت نفس المشاعر والأحاسيس .. بالإضافة إلى أنك شخص مشهور ولن تكون نكرة إذا حمل الفيلم اسمك كبطل .. وأيضا فإنك على دراية واسعة بفن التمثيل لأنك عاصرت تصوير عدد من قصصك التي تحولت لأفلام .. وهكذا ترى أنه ليست هناك عقبة تحول دون قيامك ببطولة هذا الفيلم.

كانت إيناس تتحدث في حماس إلى درجة اللهاث وقد تهدج صوتها بانفعال قوي .. وأنفاسها تعلو وتنخفض كما لو كانت تخوض معركة.

وراقبها ماجد بشيء من الدهشة والحيرة ..

كان يتساءل دائماً عن سر حماسها الزائد له، وإصرارها على القيام ببطولة كل أفلامه التي يكتب قصصها.

ونطق بعد لحظة قائلاً : نسيت عقبة واحدة تحول دون تحقيق رغبتك.

سألته في تحدٍ : ما هي ؟

ــ هل سيرضى منتج الفيلم بأن أكون أنا البطل أمامك ؟

قالت بلهجة تحدٍ إعتادها منها : إذا رفض ذلك المنتج الغبي تمويل الفيلم، فسأقوم بانتاجه بنفسي مهما بلغت تكلفته.

قال بدهشة : إنها مغامرة قد تسبب لك خسارة كل رأسمالك.

ــ أنا راضية بتلك الخسارة لو حدثت.

صمت ماجد لحظة في دهشة عظيمة .. لم يكن يدري سر دافعها ومغامرتها .. وسألها بعد لحظة في تردد وشك : لماذ تفعلين ذلك ؟

اجابته وعيناها الخضراوان تتألقان بأنوار ملتهبة : كأنهما تعترفان بسر ما : ألم تدرِ السبب بعد .. أنني أحبك أيها الأحمق الذي لا يرى أمامه !

« آلام متجددة »

اعترض المنتج .. ولكن اعتراضه ذاب أمام إصرار إيناس على أن يقوم ماجد ببطولة الفيلم أمامها أو تنتجه لحسابها ..

وأخيراً وافق المنتج .. وتناقلت الصحف والجرائد الخبر المثير .. مؤلف وصحفي يتحول إلى نجم سينمائي يقوم ببطولة فيلم أمام النجمة الفاتنة « إيناس حمدي ».

وبات الجميع يترقبون تصوير ذلك الفيلم بفارغ الصبر .. والذي تكتّم ماجد التصريح بأي شيء عن قصته وأحداثه .. فقط صرح باسمه .. « ليلة الزفاف الحزينة ».

وبدأ تصوير الفيلم .. ومنذ المشهد الأول أظهر ماجد براعة في التمثيل لا حد لها .. حتى أن نجوم السينما وضعوا أيديهم على قلوبهم خوفاً من ذلك الممثل العملاق

الجديد .. وإن كانوا في الظاهر قد باركوا له تلك الخطوة.

وتوالت مشاهد التصوير وماجد يحاول التوفيق ما بين عمله كصحفي .. وتصوير فيلمه الأول ..

وجاءت مشاهده غاية في الإجادة والروعة .. وبعد كل مشهد كان الحاضرون يصفقون له إعجاباً واستحساناً بأدائه، وهو يبدو صامتاً عيناه تعكسان أحزان وأشجان لا يفصح بها لإنسان. مشهد وحيد استدر دموع المشاهدين .. لحظة أن وقف بباب حبيبته حاملاً حقيبة أوراقه وقصائده .. ووقفت هي ترقبه من خلف نافذتها ساخرة .. وبواب الفيلا يطرده في مهانة ويعايره بفقره ويردد له بأن صاحبة الفيلا الحسناء لا ترغب في رؤيته مرة أخرى. ولم ينم ماجد ليلتها .. أحس أن جراحه تتجدد وآلامه تعود من جديد .. أحس بالنار التي احرقته يوما، لا تزال آثارها كاوية في قلبه .. حارقة إلى درجة الموت.

وأحس أن انتصاره الذي توهمه كان هزيمة أخرى .. فما من رجل يحسب فوزه على أنثى انتصاراً .. خاصة إذا كان قلبه قد أحب تلك الأنثى يوماً ما.

فيما فعله نذالة وخسة .. فيه وحشية وحقد لا مثيل لهما .. برغم كل أعذاره لنفسه.

إنه ما يزال يتعذب بسبب ما فعله لنيفين فالحب تسامح ومغفرة .. وكان عليه أن يتسامح إكراماً لكل لحظة حب صادقة شعر بها تجاه من أحب .. حتى لو كانت قد بادلته ذلك الحب سخرية واستهزاء وجراحاً.

ومضت بقية أيام التصوير بآلام متجددة .. إلى أن جاء موعد تصوير المشهد الأخير.

واستعد ماجد لهذا المشهد .. كأنه مشهد عمره .. أو كأنه المشهد الذي سيداوي جراح قلبه.

كان مشهد تصالحه مع حبيبته برغم كل ما حدث بينهما .. وذهابه إليها طالباً عفوها وسماحها ولو كان الثمن حياته ..

كان يريد أن يريح روحه المعذبة التي تشعر بالإثم والألم .. كأن ذلك المشهد السينمائي سيريحه من آلام الواقع وإحساسه بالنذالة .. وبأنه أصلح خطأً ما كان يجب أن يقع فيه.

ولاحظت إيناس عصبيته قبل تصوير المشهد .. وأدركت

حالته النفسية التي يمر بها، والمواجع التي أهاجها تمثيله لدوره في الحياة. أدركت إيناس خطأها في ترشيح ماجد لبطولة الفيلم والتي تسببت في تجديد جراحه. ولكن إدراكها جاء متأخراً.

ولم يكن أمامها غير حل وحيد لتجعله ينسى كل ما كان .. وينسى الخطأ الذي يرفض أن يسامح نفسه عليه.

ولكنه حل يتطلب بعض الوقت .. وماجد أمامها يبدو كما لو كان ميتاً لا يحس بشيء حوله.

وبدأ تصوير المشهد الأخير في حديقة نادي الجزيرة .. وقد جاء عشرات الصحفيين العاملين بالفن ليشهدوا ذلك المشهد الأخير .. وعشرات آخرون من أعضاء النادي التفوا حول مكان التصوير في ترقب. وقد وقف نجم الشاشة الأول « شريف عزت » يراقب تصوير المشهد في صمت وتقطيب وعقله مشحون بأفكار متضاربة .. وقد ساد مكان التصوير صمت وترقب عجيبين انتظاراً لدوران الكاميرا.

وصاح المخرج : أكشن.

ودبت الحياة في ماجد .. خفق قلبه ونبضت مشاعره

.. كأن ذلك المشهد الذي سيقوم بتصويره يدور في الحقيقة .. وبه سيمسح جراحه وآلامه.

كان المشهد يمثل حبيبته جالسة في حديقة النادي .. وفي عينيها جرح عميق وآلام لا نهاية لها .. وقد اعتزلت الحياة بعد ما جرى .. وتحولت إلى إنسانة أخرى منطوية على ذاتها .. لا شيء يسعدها في العالم!

اقترب ماجد منها .. توقف أمامها لا يجرؤ على النطق .. ورفعت نيفين عينيها إليه .. وللحظة أذهلها وجوده في نفس المكان معها .. وتهدجت أنفاسها وهي تنظر إليه لا تكاد تقوى على النطق من المفاجأة.

وشعر ماجد بدوار .. دوار حقيقي .. خيّل إليه أن الجالسة أمامه هي نيفين نفسها .. كأن ما يحدث أمامه هو الواقع الحقيقي .. وكان الاعتذار هو أقل ما يفعله.

همس إليها بصوت مقتول بأحزان لا نهاية لها: نيفين .. سامحيني.

رددت خلفه بصوت كالبكاء: أسامحك؟

ــ لم أكن أدري ما أفعله بك وقتها .. وإن عذابي بما حدث سيكون مضاعفاً، وإنني لن أغفر لنفسي أبداً.

قالت كأنها تبكي : لقد سامحتك منذ زمن .. منذ اللحظة التي أدركت فيها بشاعة ما فعلته أنا أيضاً بك .. وكيف أستغليت حبك ومددت إليك حبل الأمل والحب وأنا أتسلى بك كدمية لا حياة فيها .. قمت بتحطيمها بعد ذلك بلا رحمة.

ـ برغم كل ما فعلتيه بي .. ما كان يجب أن أفعل بك ما فعلت.

قالت والدموع في عينيها : إنني أستحق كل ما فعلته معي فلا تأخذك بي شفقة .. لقد كنت كما وصفتني تماماً .. فتاة تافهة مغرورة تظن أن العالم كله لا مهمة له غير تنفيذ أوامرها وتحقيق إرادتها والتسبيح بجمالها .. كنت مغرورة لا أرى غير نفسي ولا أشعر إلا بجمالي .. ولم اكن ارى فيمن حولي إلا عبيداً لهذا الجمال، أتمتع بأن اقسى عليهم وأتشفى بهم.. كان جمالي هو العقاب الذي يتحملون قسوته دون ذنب .. كنت قبلك لا أعرف مشاعر الألم ودموع الحزن .. وجعلتني أنت أذوقها وأحس مرارتها .. لاعرف كم تسببت في إيلام

الآخرين وكل ذنبهم أنهم أحبوني .. أحبوا تمثالاً زجاجياً براقاً لا حياة فيه ولا قلب له يشعر بهم.

قال ذاهلاً : لا أكاد أصدق أنني أسمع هذه الكلمات منك.

قالت في مرارة : ألم أخبرك أنني قد تغيرت .. لقد طهرتني الآلام من نقائص كثيرة وأزاحت عن عيني غشاوة ثقيلة .. إذا كنت قد جئت تطلب مني سماحاً فها أنا أطلب منك أيضا أن تسامحني لكل ما فعلته بك .. وما سببته لك من آلام.

قال في تسامح : لولاك أيضا .. ولولا الآلام التي سببتها لي ما كانت جذوة حماسي وطموحي قد تحولت إلى كتلة ملتهبة تُشعل إصراري وطموحي وتدفعني للنجاح باستمرار .. وتصنع مني انساناً لامعاً ذات مستقبلٍ باهرٍ .. لقد كانت آلام حبي لك هي النار التي صهرتني وطردت عني الشوائب .. ليظهر المعدن النفيس بداخلي والموهبة الحقيقية .. فأنا أدين لك بأشياء كثيرة في حياتي .. برغم كل ما جرى لي.

قالت والدموع في عينيها : لقد تساوت الآلام بيننا ..

وإذا كان الحب لم يجمعنا فإن الآلام قد وحدت بيننا في أشياء كثيرة .. فمن ذا الذي يظن أن نتيجة ما فعلته بي كان كالدواء المر .. يجب أن يشربه الإنسان ليرى العالم بصورة أفضل .. وقد كان لدوائك المر فعل السحر في قلبي .. فرأيتك على حقيقتك .. رأيتك شاباً عظيماً طموحاً تحقق ذاتك بمجهودك دون وساطة أو مساعدة أو مال من آخرين .. وها أنت تثبت أنك أعظم مما ظننت باعتذارك الآن عما فعلت .. برغم أنك لست بحاجة إلى اعتذار .. فقد سامحتك منذ زمن .. منذ اللحظة التي أحببتك فيها.

ردد ذاهلاً : تقولين أنك أحببتني ؟

أجابته بصوت متهدج :

ــ منذ اللحظة التي تكشفت لنفسي حقيقتها أدركت كم أنا ضئيلة وتافهة .. وكم أنت عظيم وناجح .. منذ تلك اللحظة أحببتك وبدأت معاناتي الحقيقية .. لأنني أحببت إنساناً لم يعد يضمر لي غير الكراهية والبغض .. وقد جاء يوماً عارضاً حبه وقلبه فوطأتهما بقدمي بغرور وسخرية وبلا رحمة.

هتف ماجد بفرحة حقيقية : لا أكاد أصدق أنك تحبينني هذه اللحظة.

قالت باكية : أنا أحبك واسامحك برغم كراهيتك لي.

قال وهو يضغط على يديها في عنف : لقد كانت كراهيتي لك وهماً .. لولا حبي لك ما انتقمت منك .. لولا أن حبي لك كان يؤلمني ويعذبني ما حاولت أن أجعلك تشعرين دائماً بهذا الحب واترك لك ذكرى مؤلمة له .. ولو بطريقة قاسية لتتذكري أنه لولا الحب ما كانت الآلام.

ورفع وجهها بأصابعه وهو يبحر في عينيها الماسيتين وقال في اشتياق : ألم تدركي بعد سبب عذابي واعتذاري .. لولا أنني لا زلت أحبك ما آلمني ما فعلته بك .. لولا حبي لك ما آلمتني الكراهية التي أحاول اصطناعها معك .. فهي كراهية تعذبني لأنها ليست حقيقة.

قالت بأنفاس لاهثة : أتعني أنك ..

قاطعها في لهفة : أحبك .. أحبك .. أحبك

قالت بدموع فرح : لا أصدق ما أسمعه.

قال بفرحة طاغية : لن تصدقي إلا في حالة واحدة..

أن تتحول ليلة الزفاف الحزينة إلى ليلة زفاف سعيدة .. ليلة زفاف لا مثيل لها نعوض بها كل أحزاننا وآلامنا السابقة .. فهل توافقين أن نتزوج .. الآن ؟

هزت رأسها بفرحة طاغية كطفلة تتعلق بأسباب سعادتها .. وتشابكت أصابعهما في لهفة كأنهما يخشيان أن يفترقا بعد الآن لحظة واحدة ..

وصاح المخرج : استوب .. برافو ..

ودوى التصفيق ..

وأفاق ماجد ذاهلاً .. تلاشت في لحظةٍ الفرحة الطاغية والسعادة الغامرة .. خيِّل إليه للحظة أن ما كان يدور منذ لحظة كان واقعاً حقيقياً أصابه بسعادة هائلة .. كأنها لحظة سحرية مسروقة من الزمن والواقع ..

كان يعيش اللحظة الماضية كأن نيفين هي الواقفة أمامه وليست أنثى أخرى .. ليست « إيناس حمدي » ! !

وها هي كلمات المخرج تعيده إلى أرض الواقع وتؤكد له أن ما جرى لم يكن إلا تمثيلاً يستحق التصفيق .. وأن الأمور لا تجري هكذا على أرض الواقع .. في الأحلام فقط تتحقق الأمنيات .. ولكن الواقع قاسٍ ومؤلم .. وتلك

التي كان يمسك بأصابعها منذ لحظة لم تكن حبيبته السابقة .. كانت أخرى.

راقبته إيناس في صمت وجمود .. ثم استعاد وجهها اشراقته وحيويته .. فما كانت تسمح لنفسها بالهزيمة أبداً.

أدركت أن ثمة آثار جراح لا تزال في قلب ماجد.. وأنها أخطأت بإصرارها على نبش تلك الجراح بتمثيله للقصة أمامها.

ولم تكن إيناس ممن يستسلمون لمعارك خاسرة .. وكانت بحكم خبرتها تعرف أن الرجل لا ينسى حباً قديماً .. إلا بحب جديد.

واندفعت تخترق حشد الصحفيين الذين أحاطوا بماجد يلتقطون الصور ويأخذون منه الأحاديث .. وأمسكت بيد ماجد ورفعت يدها الأخرى تشير للجميع أن يصمتوا.

وران الصمت على الجميع في انتظار ما ستقوله النجمة الشهيرة. وتورَّد وجه إيناس بلون الورد .. وقالت في لهجة تمثيلية كانت تجيدها تماماً : هناك خبر هام أرجأنا إعلانه أنا وماجد لحين الانتهاء من تصوير هذا الفيلم.

نظر إليها ماجد في دهشة متسائلاً ؟

وقالت إيناس دون أن تتيح لأحد فرصة للسؤال : اليوم نُعلن نبأ خطوبتنا أنا وماجد .. وسيكون الزواج في أقرب وقت.

تعالى صياح الواقفين وأدهشتهم الفرحة .. وأضاءت فلاشات التصوير تلتقط الصور للحبيبين على حين قطب « شريف عزت » وجهه بغضب هائل مكبوت .. وانسحب من المكان دون أن يشعر به أحد. وتساءل ماجد في دهشة لإيناس هامساً : أي خطوبة هذه التي أخبرت الصحفيين عنها ؟

أجابته في دلال : وماذا سيكون مصير حبنا إذا لم تُتَوِّجُهُ الخطوبة والزواج .. أم أنك لا تريد الزواج مني ؟

ورمقته بعينين تضطرب فيهما بحور عميقة من إغراء ودلال لا مثيل لهما .. حتى شعر ماجد بدوار لا يكاد يفيق منه.

وهمست إيناس في فرحة : ألن تذهب لشراء دبل الخطوبة .. أم أن هناك خطوبة دون دبل .. ودون حفلة يشهدها كل الأصدقاء ؟

وتأبطت ذراعه يغادران المكان .. وعيـون الواقفيـن ترمقهما في حسد .. وماجد لا يملك إرادة المقاومة أو الرفض.

* * *

« رغبة في الانتقام »

صاح والد نيفين نعيم بك في غضب شديد وهو يلقي بالجريدة إلى الأرض : هذا المجرم الوقح .. هل وصلت به الجرأة لأن يصنع بقصته مع ابنتي فيلماً يعرضه على الملايين ؟

ولوح بقبضته في ثورة مكملاً : لقد تمادى فيما يفعله لأنه لم يجد من يردعه .. وله الحق في أن يفعل أكثر مما فعل ما دمنا قد تركناه يفعل ما يشاء بلا عقاب.

قال الأخ الأكبر في هدوء : لقد اكتملت خطتي وآن الآوان لأن يدفع هذا الوقح ثمن خطأه .. لقد رتبت الأمر بدقة وصارت المسألة كلها مسألة أيام إلى أن يحين موعد التنفيذ النهائي.

تساءل نعيم في قلق : وما هذه الخطة التي وضعتها

لتدمير هذا الوغد ؟

ارتسمت ابتسامة خبيثة على وجه الأخ الأكبر المتأنق وقال : إنني أريدك أن تبقى بعيداً عن هذا الأمر تماماً .. ودع لي كل شيء وثق بي.

والتقط الجريدة من الأرض، ورمق صورة الخطيبين قائلا : من العجيب أن نجمة سينمائية جميلة وشهيرة مثل « إيناس حمدي » تقبل بخطوبتها على هذا الصعلوك.

قال نعيم ساخراً : ولماذ لا توافق على خطبتها له وقد صار ممثلا مشهوراً بجانب عمله كصحفي ومؤلف سينمائي معروف ؟

قال الأخ الأكبر : ولكن الخبر المنشور عن الفيلم يقول بأن « ماجد صبري » لن يقوم بالتمثيل مرة أخرى.

قال نعيم في غضب : هراء وكذب .. إن كل أخبارهم كاذبة .. لا شك أنه يحلم بالنجومية .. وأقسم، إن لم تفلح خطتك في تدميره، لأن أقتله بالرصاص مهما كانت النتائج.

والتفت نعيم نحو نيفين الجالسة في صمت تسمع وترى دون أن تنطق ملامحها بشيء .. وتلاشت ملامح الغضب

من وجه الأب .. وقال بإشفاق : لماذ لا تصعدين إلى حجرتك يا ابنتي لترتاحي فيها ؟

لمعت عينا نيفين بكراهية لا مثيل لها .. كأنما يتفجر منهما لهب حقد وبغض .. ففي الاسابيع الماضية تزايدت جراحها وآلامها حتى صارت لا تحتمل المزيد .. وتفجرت كراهيتها نحو شخص وحيد ..

« ماجد صبري » ..

لم تكره إنساناً قدر كراهيتها له .. ولم تفكر في الانتقام من إنسان غيره .. صارت كراهيتها له أكبر من كل هدف آخر لها في العالم.

صار الانتقام هو رغبتها الوحيدة في الحياة ..

الانتقام من الشخص الذي أذلها وحطم غرورها وكبرياءها.

ليلة طويلة قضتها ساهرة، تتقلب فوق النيران وهي تفكر في وسيلة تنتقم بها من ذلك الإنسان ..

ولم يصل عقلها إلى شيء .. وقررت أن تنتظر .. فإن لم تفلح وسيلة عمها في تدمير ماجد وهدم مستقبله فسوف تنتقم منه بوسيلتها الخاصة .. ولن تعدم هذه الوسيلة.

وتساءل والدها في قلق وهو يراقب معالم وجهها المكتسية بالشر : نيفين .. فيمَ تفكرين يا ابنتي ؟

رمقت نيفين والدها بنظرة حادة وتساءلت في صوت يقطر بُغضاً : متى سيعرضون هذا الفيلم الذي قام « ماجد صبري » ببطولته ؟

أجاب العم : سوف يبدأ عرض هذا الفيلم الأسبوع القادم .. ولن يهنأ « ماجد صبري » بنجاحه طويلاً .. فسوف أنتقم منه سريعاً .. أسرع مما يظن !

* * *

« دموع ندم »

امتلأت صالة السينما عن آخرها في الحفلة الأولى لعرض الفيلم ..

وفي نهاية الصالة استقرت نيفين فوق مقعدها تغالب مشاعرها .. كانت قد قاومت طويلاً رغبتها في أن تشاهد الفيلم ولكن مقاومتها إنهارت في النهاية ..

كانت بداخلها رغبة محرقة لمعرفة كيف صوَّرها « ماجد صبري » على الشاشة .. وأي نوع جديد من الإهانات والصفات السيئة أضافه إليها بعد كل ما فعله بها.

وبدأ الفيلم .. وتعلقت عيناها بماجد صبري وهو يؤدي دوره ببراعة مذهلة .. وإيناس حمدي قد تقمصت شخصيتها بطريقة لا تصدق .. كأنها عاشت حياتها كلها معها .. تقلد حركاتها وسكناتها بطريقة عجيبة.

وجاءت اللحظة التي بكى فيها الكثيرون من الحاضرين...

لحظة أن طردت البطلة فتاها من الفيلا وأغلقت كل الأبواب في وجهه، وقد وقفت هي من خلف نافذتها تراقبه بسرور وسخرية وشماتة.

وانقبض قلب نيفين .. ارتعشت شفتاها .. ووجدت الدموع تنحدر من عينيها رغماً عنها.

لا تصدق أنها كانت بتلك القسوة .. بلا مشاعر كتمثال لا حياة فيه، لا يهمها مصير إنسان أحبَّها وأخلص إليها .. فوطأت مشاعره بلا رحمة ومزقت قلبه.

لأول مرة كانت تبكي من أجل إنسان .. إنسان كرهته لدرجة الموت .. ولكن ها هي مسام الكراهية تتفتح ويتبخر مخزونها .. ولا يتبقى غير رائحة الدموع والإحساس بالندم على ذلك الإنسان الذي أحبها باخلاص دون أن تدرك قيمة حبه لها.

وشاهدت مؤامرة ليلة العرس وهي تحاك أمامها .. وكيف قاوم ماجد وحاول أن ينسحب .. ولكن إيناس كانت تمسك بالخيوط كلها في يدها .. وتستغل ضعفه وانقياده لها.

وأدركت نيفين أن الأمر تم رغماً عن ماجد وأن المحرك الأساسي كان إيناس ..

ثم جاء مشهد النهاية .. وارتجف بدنها .. كانت تتساءل كيف ستكون نهاية الفيلم ؟

وشاهدته يقول على الشاشة : نيفين .. سامحيني .. لم أكن أظن أنني سأتعذب بما فعلته بك .. فلم تكن كراهيتي لك إلا كراهية مصطنعة.

وهي تقول له : لقد طهرتني الآلام من نقائص كثيرة وأزاحت عن عيني غشاوة ثقيلة .. وإذا كنت قد جئت تطلب مني سماحا فأنا أطلب منك أيضا أن تسامحني.

وأغرقتها الدموع .. ارتعشت شفتاها وهي تنطق بنفس الكلمات .. انفجرت بالبكاء رغماً عنها وصوت ماجد يتردد في أذنيها في المشهد الأخير : أحبك .. أحبك .. أحبك .. لقد كانت كراهيتي لك وهماً .. ولولا حبي لك ما انتقمت منك .. ولولا أن حبي لك يؤلمني ما حاولت أن أجعلك تشعرين بهذا الحب .. ولو بطريقة مؤلمة لتتذكري أنه لولا الحب ما كانت الآلام.

وعادت نيفين إلى بيتها وهي لا تكاد ترى أمامها ..

هرعت إلى حجرتها ودموعها تسبقها ..

أدركت تلك اللحظة أنه لا يزال يحبها .. برغم كل ما فعله بها لا يزال يحبها .. وأن حبه لها هو الذي دفعه للانتقام منها .. رغماً عنه.

وأدركت كم كانت تافهة مغرورة .. كم كانت قاسية وهي تتسلى بعذابه .. أحست بنار الألم والندم تشتعل في روحها.

لأول مرة تشعر بالندم والألم .. الندم على كل ما فعلته مع ذلك الإنسان الذي أحبها وأخلص إليها .. حتى وهو ينتقم منها.

وأحست أنها تتطهر من مشاعر الكراهية نحوه .. نحو « ماجد صبري » بالذات .. ذابت مشاعر الكراهية والحقد ولم يعد قلبها غير صفحة بيضاء متسامحة.

أدركت أنها كانت جانية وليست مُجْنَى عليها.

أدركت ذلك من عمق قسوة اللحظة التي طردت فيها حبيبها من الفيلا، وهي واقفة تراقبه خلف زجاج نافذتها بتلذذ وتَشَفٍ .. كطفلة شقية تراقب لعبة محطمة. أدركت

ذلك عندما جاء يستسمحها ويطلب عفوها .. رغم أنها الجانية وليست المُجْنى عليها .. رغم ليلة الزفاف الحزينة ..

فقد كانت تستحقها وتستحق ما هو أقسى منها.

كانت كياناً بلا قلب أو مشاعر .. وها هي حقيقتها تتكشف لها بلا زيف.

وسمعت صوت عمها يأتي من الخارج قائلاً متشفياً : لقد أحكم رسم الخطة والليلة سوف يتم الجزء الأول منها .. وبعد يومين أو ثلاثة ستتم بقية الخطة وبعدها لن يكون هناك شيء إسمه « ماجد صبري » .. سوف أدمره تماماً.

وانطلق يضحك في شماتة .. وقلب نيفينِ يكاد يتوقف من النبض .. وهي لا تدري إن كانت تسعد بما سمعته أم تشقى ؟

* * *

« حديث خاص »

رحب « شريف عزت » بماجد صبري قائلاً : تفضل أيها النجم السينمائي اللامع والصحفي البارع.

قال « ماجد صبري » باسماً : لقد جئت إليك اليوم باعتباري صحفيا يجري حديثا مع أشهر نجم سينمائي في مصر.

واكتسى وجهه بجدية شديدة وهو يضيف : ما الحديث الهام الذي أردت أن تدلي به إليّ ولم يكن يحتمل التأخير ؟

قطّب « شريف عزت » حاجبيه قائلاً : أريد منك وعداً قبل أن أعطيك هذا الحديث، بأن تنشر حديثي كاملاً دون أن تحذف منه كلمة واحدة، وأن تنشره في أقرب وقت .. غداً أو بعد غد على الأكثر.

ماجد : أعدك بذلك ..

ارتسمت ابتسامة غامضة على وجه « شريف عزت » وهو يقول : حسناً .. إن ما سأدلي به لك الآن حديث خاص لن يتكرر أبداً .. فهو خاص برأيي في كل نجوم السينما ونجماتها ومخرجيها ومنتجيها وكل العاملين فيها.

ظهرت الدهشة على وجه ماجد ولم يعلق .. وأدار جهاز الكاسيت الصغير معه لتسجيل كلمات « شريف عزت ».

وانطلق النجم السينمائي يسبُّ كل النجوم وأهل السينما .. ويصفهم واحداً واحداً بأبشع الصفات وبأنهم مجموعة من الجهلة والمنافقين والمخادعين.

أوقف ماجد التسجيل وهتف في استنكار : أستاذ شريف .. أنا لا أستطيع نشر مثل هذه الكلمات .. إنها جريمة سبّ علني وقذف يعاقب عليها القانون بالسجن.

انفجر « شريف عزت » غاضباً يقول : إنني حر في رأيي وأنا الذي سأحاسب على هذا الرأي .. وإن لم تنشر الحديث فهناك عشرات الصحفيين على استعداد لنشره بأي ثمن.

ماجد: حسنا .. أنت حر في رأيك. فقط أردت أن

أنبهك إلى المسئولية القانونية التي ستتعرض لها بنشر مثل هذا الحديث.

ونهض ماجد حاملاً الكاسيت الصغير وغادر المكان بعد أن أنهى « شريف عزت » حديثه.

وابتسم « شريف عزت » ابتسامة واسعة وهو يدير قرص التليفون ويتحدث قائلاً في سخرية : لقد أدليت إليه بالحديث .. وسوف ينشره في أسرع وقت .. وبعدها سوف ينتهي « ماجد صبري » من الوجود تماماً.

وانطلق يقهقه في سعادة شديدة.

* * *

أعاد الأخ الأكبر سماعة التليفون وقد ارتسمت على وجهه نظرة ماكرة خبيثة، والتفت إلى نعيم قائلاً : لقد تم الأمر كما خططت له تماماً.

تساءل نعيم في دهشة : أنني لا أفهم شيئاً مما يحدث .. إذا كنت قد خططت مع « شريف عزت » لإدلاء ذلك الحديث لماجد صبري .. فإن هذا الحديث لن يتسبب في أي مشكلة لماجد لأن من يتحمل المسئولية هو « شريف

عزت » ..وهو من سيتعرض للمسائل القانونية وليس ماجد صبري.

نفث الأخ الأكبر المتأنق دخان سيجارته قائلاً في خبث . وما الذي يثبت أن « شريف عزت » هو الذي أدلى بهذا الحديث القذر ؟

ـــ شريط الكاسيت المسجل بصوته.

ـــ وإذا اختفى هذا الشريط ؟

حملق نعيم في أخيه بدهشة عظيمة .. واتسعت عيناه ذهولا وتمتم : أتعني أنه ..

قاطعه الأخ الأكبر قائلاً : ـــ بالضبط هناك من سيقوم بسرقة شريط الكاسيت من « ماجد صبري » .. وبعد نشر الحديث فإن « شريف عزت » سيقول أنه لم يدلِ بهذا الحديث لماجد صبري .. وسيرفع ضده قضية يطالبه بتعويض مليون جنيه .. وفي نفس الوقت سوف يثور كل أهل الفن ضد « ماجد صبري » وسيتهمونه بالسبّ العلني في حقّهم وسيرفعون قضايا ضده .. باعتبار أن ما نشره ضدهم هو رأيه الخاص.

غمغم نعيم في ذهول قائلاً : وبهذا يتحطم مستقبل

« ماجد صبري » في السينما .. ويصبح كل أهلها أعداءَه اللدودين.

ــ بالضبط .. وحتى مستقبله الصحفي سوف يتدمر أيضا باعتباره قد نشر حديثاً كاذباً في الجريدة مما سيعرِّضُه للدخول في قضايا ومشاكل مع من تضمَّنهم الحديث .. وأقل عقاب لذلك هو فصل « ماجد صبري » من الجريدة وضياع مستقبله تماماً. إذ لن تقبل أي جريدة أخرى أن يعمل لديها .. هذا غير احتمال سجن ذلك الوقح ودفعه تعويضات ضخمة .. وبهذا لن يكون هناك شيء اسمه « ماجد صبري » بعد الآن.

هتف نعيم في ذهول طاغ : يا لها من فكرة جهنمية كأنما ابتدعها الشيطان.

أجاب الأخ الأكبر في ثقة : أخبرتك أنني سأنتقم من هذا المجرم .. وسأفعل.

ــ ولكن .. ما الذي دفع « شريف عزت » لأن يتعاون معك بتلك الطريقة ؟

ضحك الأخ الأكبر ضحكة قصيرة خشنة ثم قال : إن ما جعل « شريف عزت » يضع يده في يدي سببان

.. أولهما أن شريف يرى في ماجد صبري منافساً خطيراً له في النجومية .. وأنه سيسحب البساط من تحت قدميه وسيتحول إلى النجم الأول بدلاً منه .. ولكي يحافظ « شريف عزت » على نجوميته كان لا بد أن يتخلص من « ماجد صبري » بأي ثمن وفي أسرع وقت.

— والسبب الثاني ؟

— الحب يا عزيزي .. فإن « شريف عزت » يحب « إيناس حمدي » لدرجة الجنون .. ولكنها لا تعبأ به .. ربما لأنه يقترب من الخامسة والأربعين، وربما بسبب علاقاته المتعددة .. ولأن « ماجد صبري » سوف يتزوج إيناس، فإن إزاحة ماجد من الطريق وتدميره، قد يعيد ما كان بين شريف عزت وإيناس حمدي.

حملق نعيم في أخيه الأكبر بذهول عظيم وإعجاب شديدَيْن .. وقال الأخ المتأنق بخبث : لا تسألني كيف عرفت هذه المعلومات عن شريف عزت وإيناس حمدي .. فإن النقود تفعل أشياء كثيرة في عصرنا.

— ولكن .. هل أنت واثق أن هناك من يستطيع سرقة

شريط الكاسيت من شقة « ماجد صبري » ؟

ـــ طبعا .. فإن عشرة آلاف جنيه مبلغ كفيل بأن تجعل الابن يسرق أبيه .. خاصة إذا كان من سيسرق الشريط مجرد خادم مرتبه لا يتعدى المائة وخمسين جنيها .. وخاصة أن هذا الخادم كان لصاً سابقاً لا يدري أحد عن ماضيه شيئاً.

تساءل نعيم بعينين واسعتين : هل تتحدث عن خادم « ماجد صبري » ؟

ـــ ها قد عرفت كل تفاصيل الخطة يا أخي العزيز .. الصغير.

وانفجر الأخ الأكبر القصير ضاحكاً بشدة ..

ووقفت نيفين كالمشلولة في مكانها بأعلى السلم .. وقد سمعت كل ما دار بين أبيها وعمها .

كانت خطة رهيبة لتدمير « ماجد صبري » .. خطة لا يمكن أن يصل إليها غير عقل شيطان .. وأحست بنار هائلة تندلع في جوفها .. وعاطفتين رهيبتين تتنازعاها .. رغبة قديمة لا تزال بقايا جذورها مشتعلة في قلبها لتدمير

ذلك الإنسان الذي أذلها وحطَّم كبرياءها .. ورغبة أخرى تطالبها بالتسامح وأن تغفر وتنسى ما كان.

ولم تحتمل نيفين ذلك الصراع طويلا .. وسقطت في مكانها مصابة بالحمى.

* * *

« الحقيقة »

عاد ماجد إلى منزله متأخراً .. واستقبله الخادم متظاهراً بالانزعاج وهو يقول : أين كنت يا سيدي ؟

أجابه ماجد في إرهاق : عملت في الجريدة حتى وقت متأخر وبقيت لإقناع رئيس التحرير بنشر الحديث الذي أخذته من « شريف عزت » كاملاً .. وسوف تنشره الجريدة في الغد دون أن تحذف منه شيئاً.

وتثائب متسائلاً : هل سأل أحد عني ؟

أجابه الخادم العجوز وعيناه معلقتان بحقيبة ماجد الجلدية :

ـ خطيبتك السيدة إيناس جاءت هنا وانزعجت لتأخيرك .. وقالت يبدو أنك نسيت أن زفافكما سيكون في الغد

.. وأجرت بعض المكالمات التليفونية لدعوة صديقاتها لحفل الزفاف.

ارتسم على وجه ماجد نظرة شاحبة حزينة وهو يقول: لا لم أنسَ أن الغد هو موعد زفافنا .. كان نشر ذلك الحديث هو آخر عمل أقوم به قبل الزفاف، فيجب أن أحصل على إجازة طويلة .. فمنذ سنوات لم أحصل على يوم إجازة واحد.

واتجه إلى حجرة مكتبه وأدار شريط تسجيل المكالمات في جهاز الرد الآلي واسترخى في مقعده وهو يستمع إلى تسجيل مكالمات مَنْ اتصلوا به للسؤال عنه ..

وأغمض عينيه في شيء من الوهن .. تجاوز أخيراً أزمته النفسية .. وأقنع نفسه بأن ما جرى منه مع نيفين كان خطأً يجب عليه نسيانه، فالحياة تمضي برغم كل الآلام والأحزان .. ويكفيه كل ما عاناه بسببها .. كان عليه أن يستعد لحياته القادمة .. ولحبه الجديد .. إيناس حمدي .. وأن يطوي تلك الصفحة من الماضي بكل معاناتها. لم تكن مشاعره بالنسبة لإيناس كما كانت بالنسبة لنيفين وقت أن كان مدلهاً بحبها ..

فحبّه لنيفين كان حباً صافياً .. حباً حقيقياً بلا أي رغبة أو هدف.

الآن يشعر بأن أحاسيسه تجاه إيناس يغلب عليها العقل والتروي .. وقليل من العاطفة ..

يكفيه أنها تحبه ولا ترى في الدنيا سواه كما قالت له .. وأنها اختارته دوناً عن عشرات الرجال الآخرين الذين يحومون حولها، مثلما يحوم الذباب حول صحن عسل شهي ..

كانت إيناس حمدي فاتنة .. رائعة الجمال بمشاعر فيّاضة.. وكانت تحبُّ الحياة. والعيش مع امرأة بتلك الصفات سيكون شيئاً لذيذاً. منذ الغد ستبدأ حياة جديدة له .. لهما معا.

وتنبّه إلى صوت إيناس ينبعث من جهاز الرد الآلي فقد قام الجهاز بتسجيل محادثاتها التليفونية مع صديقاتها، دون أن تدري أن الجهاز يقوم بتسجيل مكالماتها ..

وابتسم ماجد وهو يستمع إلى صوتها العذب .. وكلمات التهنئة من صديقاتها يحملها الهاتف معبقة برائحة السعادة والفرحة.

ثم كانت المكالمة الأخيرة مع صديقتها الحميمة الناقدة الفنية « ناهد شكري ». وجاء صوت ناهد الأجش من الجهاز يقول في استنكار : إيناس .. هل ستتزوجين بالفعل « ماجد صبري » ؟

وجلجلت ضحكة إيناس قائلة : طبعاً وحفل الزفاف سيقام في « الشيراتون » غداً.

— ولكن .. كنت أظن أنها مجرد دعاية وأنك لن تذهبي في هذا الأمر إلى نهاية الشوط .. أليس « ماجد صبري » هو الذي كنتِ تصفينه بأنه ريفي ساذج وأنك مَنْ صنع منه شخصا أنيقا مهذبا .. وكنت تتهكمين على ملابسه وحقيبة أوراقه ؟

— وما المانع .. لقد تغير الآن وصار نجماً سينمائياً بجانب كونه مؤلفاً شهيراً .. والناس تنسى الماضي دائماً ولا تتذكر غير ما تراه أمامها في نفس اللحظة.

— هل وقعت في حبه ولهذا تسوقين المبررات لِي ؟

وانفجرت إيناس ضاحكة في استنكار وهي تقول : أي حب هذا أيتها الحمقاء .. ألا تدرين شيئاً عن زواج المصلحة ؟

تنبه ماجد بشدة .. وجاء صوت ناهد شكري في استنكار يقول :

ـ أي مصلحة في زواجك من شخص كماجد صبري هناك من يفوقونه في الوسامة والمال والشهرة، وعلى استعداد لأن يلقوا بقلوبهم وثرواتهم تحت قدميك.

وجاء صوت إيناس يقول : ولكن ماجد يتفوق عليهم في أنه مؤلف موهوب وستكون كل الأفلام التي يكتبها منذ الآن من بطولتي وحدي .. وبذلك أضمن أن أحصل على كل قصصه وأن أكون النجمة الأولى بتلك الأدوار الرائعة التي يكتبها .. والسبب الآخر أنني أردت أن ألقن « شريف عزت » درساً مؤلماً حتى لا ينصرف عني بعد ذلك، إلى هؤلاء الممثلات المغمورات التافهات.

ـ ألهذا كنت تنوين إنتاج فيلم « ماجد صبري » الأخير لو رفض المنتج تمويله ؟

ـ أيتها الغبية هل صدقت أنت أيضا هذه الأكذوبة .. وهل كنت أغامر بمالي مع ممثل مبتدئ من طراز « ماجد صبري » .. لو رفض المنتج تمويل الفيلم لتعللت بأي شيء وما أنتجته بالطبع .. فمثل « ماجد صبري »

لا يستحق المغامرة .. ولكن كان عليّ أن أتظاهر بذلك حتى يصدق بأنني أحبه فيوافق على زواجنا بعد ذلك .. فهو شخص عاطفي .. وبدون تمثيلية حبي له ما كان سيتزوجني أبداً، فيصير في قبضتي إلى الأبد.

جفف ماجد عرقه مذهولا وهو يستمع إلى المحادثة كالمشلول ..

وانطلقت إيناس ضاحكة وهي تقول : إني لم أشاهد شخصاً ساذجاً مثله .. لقد دبرت أمر عودته إلى نيفين وطلب يدها ثم عدم ذهابه إليها ليلة الزفاف لأدمر أي أمل قد يراوده في عودته إليها يوماً ما .. ومن العجيب أنه قام بتنفيذ كل ما طلبت منه حتى ظن أنني أفعل ذلك بدافع حبي له .. ولينتقم من تلك المغرورة .. ولم يكن يدري أنني كنت أستمتع بأن أجعله ألعوبة في يدي ينفذ كل ما أقوله له .. وأن دوري الذي مثلته معه كان أفضل أدواري على الإطلاق.

ــ وهل ستستمرين في جعله ألعوبة بعد الزواج؟

ــ بالطبع يا عزيزتي .. فلن يكون أكثر من زوج الست أنت تعرفين أنني لا أحب أن يفرض الرجل إرادته عليّ

.. ولو كان زوجي .. واسألي أزواجي السابقين.

وجلجلت ضحكة إيناس العالية مؤكدة قدرتها.

مدَّ ماجد يده يوقف الجهاز وهو يصرخ بصوت متأمل متحشرج : لا .. مستحيل .. لا يمكن أن تكون هذه هي الحقيقة .. مستحيل أن تكون إيناس قد مثلت عليّ ذلك الحب وأرادت تدمير علاقتي بنيفين .. وأنها لا ترى في زواجنا غير زواج مصلحة. شعر أنه يكاد يختنق .. يكاد يموت.

إيناس أيضاً لم تكن تحبه .. كان مجرد لعبة حمقاء في أيديها ينفذ كل أوامرها.

لم تختلف في شيء عن نيفين .. هي أيضا كانت تتسلى به .. تستمتع بأن تحركه كيفما تشاء من أجل أهدافها الخاصة . لم تكن ترى فيه كفئا لها .. للمرة الثانية يتلقى لطمة مشابهة.

زواجها منه لم يكن غير زواج مصلحة .. لتمثل كل قصصه .. ولتغيظ « شريف عزت » .. حبيبها الحقيقي ..

أما حبها له فكان تمثيلا .. دوراً في فيلم من الأدوار

العديدة التي قامت ببطولتها .. وهو في نظرها ليس إلا زوج الست.

كان ساذجاً حتى النهاية . والجميع يدوسون فوق قلبه ويحطمون مشاعره دون أن يعبأوا به ..

وأغمض عينيه في ألم قاتل وشعر أنه مشلول .. وبقى فوق مقعده حتى الصباح دون أن يغمض له جفن.

ولم يتنبه إلى اليد التي عبثت بحقيبته وسرقت منها شريط الكاسيت في خفية .. ثم غادرت المكان إلى الأبد.

ودق جرس الباب عند الظهر.

ولم يفتح الخادم الباب .. وأفاق ماجد على صوت جرس الباب الذي يدق بإلحاح .. نهض من مقعده ونادى الخادم فلم يسمع رداً. دهش واتجه نحو الباب وفتحه .. كانت إيناس بالباب .. ووقفت تحدق فيه لحظة ثم تساءلت : ماجد ماذا بك يا حبيبي .. أنك تبدو كما لو أنك لم تنم لحظة واحدة طوال الليل.

لم يرد ماجد بشيء .. وراح يتأمل إيناس وهو يسأل نفسه: كيف يمكن لهذا الجمال أن يكذب ويخادع ويتظاهر .. كيف يمكن لهاتين العينين الفيروزتين أن يسكن فيهما

الغش والخداع، وذلك الفم الرائع كيف يمكنه أن ينطق بالأكاذيب ؟

لم تنتبه إيناس إلى نظراته وهتفت به في إنزعاج : ما هذا الحديث الذي نشرته في الجريدة اليوم يا ماجد باسمك .. إن كل أهل الفن ثائرين ويقسمون بأن يحيلوا الأمر إلى القضاء بتهمة السب العلني.

لم ينطق ماجد بشيء وظل يتطلع إلى إيناس في صمت كأنه يحاول أن يقرأ الحقيقة المتخفية في أعماقها .. وحدقت فيه إيناس بدهشة أكبر قائلة : ماذا بك يا ماجد .. لماذا تنظر إليّ بهذه الطريقة الغريبة ؟

نطق قائلاً بعد جهد : أريد أن أُسمعك شيئاً.

وقادها إلى حجرة المكتب .. وأدار تسجيل مكالمتها التليفونية الأخيرة .. واستمعت إيناس إلى المحادثة بصمت وتقطيب وماجد يراقبها كأنه يبحث عن شيء خاص .. كأنه يتمنى لو ترتسم على وجهها لمحة ندم أو مشاعر ألم ليغفر لها ويسامحها.

ولكن وجه إيناس ظل على برودته .. وبدا كأنها مستمتعة

بالانصات إلى تفاصيل مؤامرتها، وان اكتشاف حقيقة مشاعرها نحوه لم يؤثر فيها بأي شكل.

وأخيراً هزت كتفيها بلا مبالاة وقالت ساخرة : إذن فقد عرفت كل شيء ؟

وبلهجة لا تحمل أي غضب أو انزعاج تساءلت : لن يكون هناك زواج الليلة .. أليس كذلك .. إنك بالطبع لن تتزوج إمرأة مثلي، أرادتك أن تكون زوج الست ؟

أذهله أنها أخذت الأمر ببساطة .. لم تحاول حتى الاعتذار له .. وتساءل في جنون، هل كل نساء العالم بمثل ذلك القدر من الخديعة والقسوة ؟

ونهضت إيناس وهي تقول : سأضطر للاتصال بكل من دعوتهم للزفاف .. وسأخبرهم بأنني ألغيت هذا الزفاف السعيد .. لأن العريس قد تورط في نشر حديث صحفي قد يذهب به إلى السجن.

وابتسمت في خبث قائلة : هل عرفت أن « شريف عزت » ينفي أنه أعطاك مثل هذا الحديث، ويتهمك بتلفيق الحديث له بغرض تدمير علاقته بزملائه .. وأنه ينوي رفع قضية ضدك وضد الجريدة .. ويبدو أن إلغاء الزفاف جاء

في الوقت المناسب .. قبل أن أتورط أنا أيضا معك.

وارتسمت على وجهها الفاتن ابتسامة ساخرة طالما حركت خيال ملايين العشاق .. دون أن يدروا بمدى قسوة صاحبة تلك الابتسامة. ولوَّحت إيناس لماجد بيدها قائلة : وداعا يا عزيزي.

واتجهت خارجة بدون أن تخالجها لحظة ندم.

وبقي ماجد كالمشلول مكانه .. لا يصدق أنها كانت تمثل عليه بمثل تلك البساطة دون أن تبالي بمشاعره وقلبه .. وأن حبها له كان أكذوبة وتمثيلاً.

ودق جرس التليفون فتنبه ماجد من شروده وذهوله .. رفع السماعة وجاءه صوت رئيس التحرير من الطرف الآخر يقول لاهثاً : ماجد أريدك أن تأتي الجريدة فوراً ومعك شريط التسجيل لحديث « شريف عزت » .. فكل من تناولهم شريف بالسباب والاتهامات معي في مكتبي الآن، وهم ثائرون يريدون الذهاب لرفع قضية ضدنا في النيابة .. « وشريف عزت » نفسه عندي وهو أكثر الموجودين ثورة ويقول أنه لم يدل إليك بهذا الحديث، ويتهمك بتزويره

وأنه سيرفع الأمر للقضاء مطالبا بسجنك وتعويض مليون جنيه.

أعاد ماجد السماعة مذهولاً .. وغمغم يقول لنفسه: يا الهي .. لم أكن أظن أن الجميع يحملون ذلك القدر من الغش والكذب .. حتى «شريف عزت» يكذب أيضا ويريد اتهامي بالتزوير .. ولكن حمداً لله أن شريط الكاسيت المسجل عليه الحديث لا يزال معي .. وسوف أثبت كذب هذا المخادع.

وأسرع إلى حقيبته في الصالة .. وأدهشه أن الحقيبة مفتوحة كأن يداً عبثت بها. وراح يبحث عن شريط الكاسيت كالمحموم .. ولكن .. لم يكن لشريط الكاسيت وجود داخل الحقيبة.

وأفاق ماجد مذهولاً على غياب الخادم ..

وأدرك سر ما حدث ..

أدرك الخطة التي وضعها «شريف عزت» لتحطيمه .. ولا شك أن شريط الكاسيت قد عاد مرة أخرى إلى «شريف عزت» بواسطة خادمه اللص .. وسيستحيل على ماجد أن يثبت أن شريف أدلى إليه بذلك الحديث ..

وأحسَّ ماجد بأن الحلقة تضيق حول رقبته .. وشعر بدوار وبأنه يسقط من ارتفاع شاهق .. وأنه صار مُطارداً ومحاصراً من كل اتجاه ولا مهرب له.

شعر بكل ما فعله وقد تدمّر تماماً .. وأنه تحول إلى حطام إنسان بلا أي مستقبل على الإطلاق ..

مستقبله الوحيد كان في السجن !

* * *

« الصفقة »

قال الخادم وهو يمد يده بشريط الكاسيت : ها هو الشريط .. أين المال ؟

قال العم في مكر : ألا يجب أن نسمع الشريط أولاً لنتأكد أنه المطلوب ؟

ووضع شريط الكاسيت في جهاز التسجيل وأداره .. وراح يستمع إلى الحوار المسجل به.

ولمعت ابتسامة على وجه « شريف عزت » وهو يقول : إنه هو.

قال العم : حسناً .. إذن فالصفقة قد تمت بنجاح إلى النهاية.

وناول الخادم عشر رزم مالية أخذها في جشع ثم غادر المكان.

وامتدت يد « شريف عزت » إلى شريط الكاسيت، ولكن العم التقط الشريط قائلاً : إن هذا الشريط ليس من حقك .. لقد صار ملكاً لنا .. فنحن لا نضمن ان يكون معك بأمان .. ولكنه معنا سيكون في مكان أمين .. ولن تقع عليه عين إنسان أبداً.

هز « شريف عزت » كتفيه قائلاً : كما ترى .. فأنت من دفع ثمن هذا الشريط على أي حال .. والمهم ألا يرى هذا الشريط النور مرة أخرى.

ـــ تأكد من ذلك .. فإن هدفنا واحد .. وهو تدمير « ماجد صبري ».

قالها العم بصوت حاسم .. واتجه « شريف عزت » نحو الباب وهو يقول: سأذهب الآن إلى النيابة لأطالب بالتحقيق مع « ماجد صبري » فيما نسبه اليّ .. وأطلب القبض عليه.

وغادر المكان وابتسامة واسعة تملأ وجهه.

والتفت الأخ الأكبر إلى أخيه الأصغر نعيم قائلاً : ما رأيك الآن ؟

قال نعيم بوجه يفيض كراهية : سوف أحتفظ بهذا

الشريط معي .. وسأخفيه في مكان لا تصل إليه يد إنسان .. وسوف تكون متعتي لا حد لها عندما أشاهد ذلك المدعو « ماجد صبري » وهو يدخل السجن ودليل براءته في يدي .. دون أن أمده إليه.

ابتسم الأخ الأكبر في خبث قائلاً : سيكون ذلك شيئاً رائعاً بالفعل .. والآن .. هل نتحاسب ؟

ــ بالطبع .. فكم كلفت تلك الخطة الرائعة لأسدد لك الثمن حالاً ؟ .. إن اعجابي بتخطيطك لها سيجعلني أدفع لك ضعف ما تكلفت .. ليس هذا فقط .. بل أنني سأقيم حفلة رائعة أدعو لها كل الأقارب والأصدقاء .. يوم أن يُقبض على « ماجد صبري » ويساق إلى السجن.

* * *

« الحب والجراح »

أحس ماجد بدموع حارقة كماء النار تتجمع في مقلتيه.
شعر أنه وحيد .. كأنه .. ضائع .. تنتظره كارثة رهيبة.
أحس أن كل العالم حوله قد خدعه وتخلّى عنه .. وليس بين الناس قلب واحد يشفق عليه .. كانت البداية هي انتقامه من نيفين .. وانسياقه وراء الكراهية التي شملت كل ذرة في كيانه لحظتها ..

كراهية منبعها الحب .. حبه الحقيقي لنيفين ..
كان يحبها حتى تلك اللحظة .. يحبها حباً لم ينقص ذرَّة واحدة .. ولكنه كان ينتقم لكرامته المهددة فوق مذبح حبها .. ينتقم انتقاماً أعمى بلا وعي.

أراد أن ينتقم منها ليس كرهاً فيها .. بل ليخفف من نيران ألمه .. فكان أن زاد هذا الألم وتضاعف ..

بداية دماره كانت تلك الرغبة في الانتقام .. ووالده كان يقول له دائماً: التسامح فضيلة .. والانتقام رذيلة .. فكن مع المتسامحين دائماً يا بني.

ولكنه لم يتسامح .. فلماذا يسامحه الله ؟

إنه يستحق كل ما جرى له .. كأنه عقاب السماء .. فقد ارتضى فضيحة وتشويه سمعة من كان يحبها .. ولم يشفع حبه لها في أن يسامحها، وانساق وراء عاطفة هوجاء.

الآن يدفع الثمن .. ثمناً باهظاً .. كل ما كسبه في حياته .. وربما حريته أيضا .. ضاع الحب والآن تضيع منه الشهرة والمال والمستقبل والحرية.

سيدفع الثمن وحده ..

أخفى وجهه بيديه وشعر أنها النهاية ..

ومرت لحظات من السكون كأنها دهور ..ودق جرس الباب ..

ارتعد .. ظن أنهم رجال الشرطة جاءوا للقبض عليه .. حانت لحظة النهاية .. وعاود الجرس دقه في إلحاح كأنه إنذار القدر لا يتمهل ولا ينتظر.

تحامل على نفسه وبأصابع مرتعشة فتح الباب وهو يستعد لمواجهة قدره.

فوجئ بها .. فتسمّر مكانه مذهولاً .. لا يكاد يصدق .. وهتف رغماً عنه : نيفين؟ كانت هي الواقفة أمامه .. بوجه خالٍ من المساحيق يبدو كما لو كان يعاني من مرض .. وقد أحتقنت العينان كأنما تسكنهما نار لا تنطفئ .. وهي ترمقه في صمت كأنها لا تجد ما تقوله.

نكس ماجد وجهه في خجل قاتل وهو يقول لها : لا أعرف لماذا أتيت في تلك اللحظة بالذات .. ولكن لعلّ الله قد أرسلك اليّ ليمنحني الفرصة الأخيرة المتاحة لأن أعتذر وأطلب سماحك عما سببته لك من آلام واحزان وفضيحة .. أعرف أن كلماتي لن تخفف شيئاً مما سببته لك من ضرر وألم .. ولكني لا أملك إلا ان اطلب منك أن تسامحيني وأن تغفري لي.

قالت نيفين والدموع في عينيها : أنا أيضاً بحاجة لأن تسامحني لكل ما فعلته بك فقد تساوينا في الخطأ .. وكل منا كان جانياً ومجنياً عليه.

رفع إليها عينين مذهولتين متسائلاً : أأنتِ التي تقولين ذلك ؟

قالت دون أن تبذل إرادة لمنع دموعها من السقوط : منذ اللحظة التي تألمت فيها لما فعلته بك، أدركت حجم الألم الذي سببته لك .. أدركت كم كنت ظالمة لك ولم أعبأ بمشاعرك وبقلبك الذي تفتّح بحبي منذ الطفولة فلم ينل غير الجراح والآلام.

قال وهو يغالب دموعه : لقد تعذبتُ لما فعلته معك .. أكثر من عذابي لأي شيء آخر.

قالت : أنا أيضاً طهرتني آلامي من نقائص كثيرة فصرت بعدها إنسانة مختلفة .. إنسانة لها مشاعر واحاسيس وقلب .. إنسانة تحب وتكره، وليست مجرد تمثال زجاجي جميل بلا مشاعر .. لقد قاومت إرادتي طويلا وعشت في عذاب الحمى وعذاب قلبي، وأنا حائرة لا أدري ما أفعل بعد أن أدركت أنك أيضا كنت ضحية مثلي .. وها أنا قد جئت لأخفف عن قلبي نار الندم المشتعلة فيه وأطلب منك أن تسامحني.

هتف يقول لها : لا أكاد أصدق .. كأني في حلم.

قالت : ربما ما يحدث الآن كان حلماً فيما مضى .. حلماً راح يعذبك .. حلماً بأن تعود إليّ وأعود إليك ولهذا وضعت تلك النهاية في الفيلم الذي كتبته عن قصتنا معاً .. كأنك كنتَ تتمنى من أعماقك أن تنتهي تلك النهاية السعيدة.

قال بمرارة : الحياة ليست كالأحلام .. الأحلام تنتهي دائما نهايات سعيدة .. أما في الحياة فلا .. ولو عاد الزمن دورته من جديد لأخترتك وحدك بالرغم من كل شيء، حتى لو سببت لي من الآلام أضعاف ما نلته منك. فلا حب بلا جراح .. فأنت الحب الوحيد الحقيقي في حياتي .. وكل شيء آخر زيف وخداع .. حتى حياتي نفسها.

قالت وعيناها تشردان بعيداً: وأنا أيضاً أزاحت غشاوة الآلام عن عيني كثيراً من الأوهام .. فصرت أرى الأمور على حقيقتها .. وأدركت كم كان حبك لي .. وكم كنت إنساناً عظيماً .. فحتى عندما كتبت قصتنا وحولتها إلى فيلم لم تشأ أن تجرحني وأن تصفني بما ليس فيّ ليقف الناس في صفك ويكرهونني حتى دون أن يعرفوني

.. وقد كان بإمكانك ذلك ولكنك لم تفعل .. بل جعلتَ لي من الصفات الجميلة ما ليس بيّ في الواقع .. كأنك تريد من الناس كلها أن تحبني مثلما أحببتني أنت.

قال بمرارة : إن حبي لكِ حب نقي خالص .. لم يكن باستطاعتي تزييفه أو تشويهه .. وأردت أن يحبك الناس كلهم كما أحببتك ولو كان الثمن كراهيتهم لي

قالت وهي تملأ عينيها منه في شغف : ألم أخبرك أنكِ إنسان عظيم لم أكن أستحق حبه.

قال وهو يتأملها في دهشة وقلق : إنك تبدين كما لو كنت مريضة تعانين من الحمى.

فأجابت في وهن : بل أنا مريضة بالحمى بالفعل، وبذلت مجهوداً جباراً لكي آتي إليك وأطلب منك أن تسامح .. وأن تغفر لي.

قال ماجد في مرارة : لقد فات الأوان .. أنني ا لست إلا إنساناً محطماً ينتظر لحظة إلقاء القبض عليه و إلى السجن.

وسمع الإثنان أصوات خطوات مهرولة صاعدة .. المكان عدد من ضباط الشرطة اندفعوا نحو ماجد وأحم

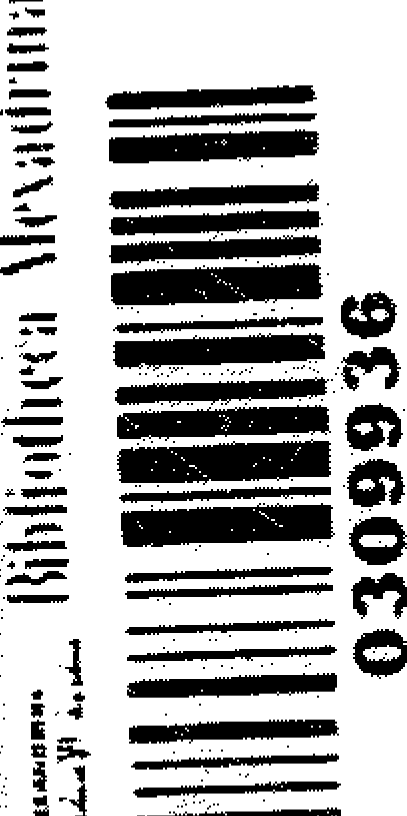
ليلة الزفاف الحزينة

عُلقت الزينات والأضواء.. وحضر المعازيم.. وبدت العروس الجميلة مثل أميرة متوجة تنتظر وصول عريسها لاتمام الزفاف..

ولكن العريس اتصل بها ساخراً ليقول إنه لن يأتي.. وإنه أراد لها فضيحة مدوية انتقاماً لما فعلته به في السابق.

وهكذا تحوّل الحب إلى كراهية ورغبة مشتعلة في الانتقام..

فماذا كانت نتيجة الكراهية المستعرة كان الانتقام ؟



دار الجيل
بيروت